جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغـــــات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: M .AD \09\13

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

تخصص: تحليل الخطاب وعلم النص

دور السياق في تأويل الخطاب

- دراسة في رواية سمرقند لأمين معلوف –

إعداد الطالبة

آســـــية سعـــــودي

تاريخ المناقشة: 2016/02/07

أمام اللجنة المناقشة المكونة من السادة:

أ.د/بلخير عقاب	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيســـــــا
د/جمال مجناح	أستاذ محاضر(أ)	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا و مقررا
د/سليمان بوراس	أستاذ محاضر(أ)	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا
د/حكيمة بوقرومة	أستاذ محاضر(أ)	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين﴾

النمل: ١٩

شكر وعرفان

قال تعالى:" لئن شكرتم لأزيدّنكم "

الحمد لله حمدا كثيرا لا ينقطع بكرة وأصيلا على توفيقه لي ،وتيسير الأمور لي لإتمام هذا البحث وإخراجه بالصورة التي هو عليها، فالحمد والشكر لله عز وجل.

الشكر الجزيل للوالدين الكريمين على مساندتهما ودعمهما المتواصلين.

أتقدم بشكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور جمال مجناح الذي أشرف على متابعة بحثي ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته السديدة جعلها الله في ميزان حسناته.

****أسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان أوجهها إلى****:

***أعضاء لجنة المناقشة التي سأستفيد من ملاحظاتها.

فشـــــــــــــــــــــــكرا جزيـــــــــــــــــــــــلا لكم.

آسية سعودي

مقدمـــــــة

مقدمـــــــــــة:

ظهر حقل التداولية في الدراسات المعاصرة هادفا إلى إعادة الاعتبار للعامل غير اللساني في ساحة الدراسات اللسانية ، وذلك بجعل السياق و ظروف المقام من بين شروط نجاح العملية التواصلية بين المرسل و المتلقي بتفعيل دور اللغة في التواصل الذي يظهر أثناء الاستعمال انطلاقا من أن نجاح العملية التواصلية مرهون بفهم طبيعة الظروف التي تنشأ فيها .

كما أن الدراسات اللغوية قد تجاوزت حدود الجملة وأصبح ينظر إلى النص على أنه أكبر وحدة قابلة للتحليل بعد ظهور علم النص، وأصبح البحث في النص يضم إلى جانب دراسة العناصر اللغوية عناصر غير لغوية يراها ذات أهمية كبرى.

وأصبحت النصوص تدرس في الاتجاه التواصلي نظرا إلى أن اللغة لا تظهر خصائصها إلا من خلال التلفظ في سياق معين ، حيث اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء من حيث التركيب أو من حيث الدلالة المنطقية وهذا ما دعا الباحثين إلى تطوير الدراسات النصية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي ، مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءا من تحديده و معرفة عناصره و دور كل عنصر في تشكيل الخطاب و تأويله، والأخذ بعين الاعتبار ظروف الخطاب ومراعاة ظروف المتلقي و ثقافته .

يعتبر السياق أداة إجرائية تؤدي دورا مركزيا في تحديد المعنى ، و يأخذ مصطلح السياق مسارا أكثر بعدا مع الدراسات التداولية التي عمق أصحابها مسألة السياق اعتمادا على تجاوز الإطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي و النفسي و الثقافي .

ومع بروز عدة مشكلات في التحليلات اللغوية الشكلية ، يرى الباحثون أن في المنهج التداولي حلا لبعض هذه المشكلات من وجهة نظر كل من المرسل و المرسل إليه فالمرسل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يؤثر به في المرسل إليه ، كما أن المرسل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المرسل ، كما يريدها عند إنتاج خطابه

لحظة التلفظ وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة قواعدية تجريدية كما هو الحال في النحو بل عبر تقدير ذهني عام ومحتمل وفقا لعناصر السياق.

وهذا الاهتمام بالسياق غيَّر مجرى الدراسات اللسانية البنيوية التي لم تكن تهتم بالسياق الخارجي ،لأنها تعده عنصرا خارجا عن النظام اللغوي ،لكن سرعان ما تغير هذا التصور خاصة مع المدرسة الإنجليزية التي أعادت الاعتبار له ، فقد بينت للساني كيف أن السياق بنوعيه يساعد على فهم النص و فك رموزه.

ومع كل هذا دفعني إلى البحث في هذا الموضوع محاولة استقصاء دور السياق في تحديد معنى الخطاب، ووضع حدود للتأويلات الممكنة ،وقد تمت صياغة عنوان بحثي كالتالي : دور السياق في تأويل الخطاب – دراسة في رواية سمرقند- لأمين معلوف و مسعانا في هذا البحث لا يكمن في السرد الزماني و الوصفي للدراسات اللسانية بل يتمثل أساسا في استقصاء دور السياق و إسهام المعرفة بعناصره في تأويل كل خطاب\نص .

بناء على ذلك ارتسمت في ذهني سلسلة من الافتراضات المسبقة أهمها أن للسياق الدور الأهم في تحقيق التواصل ،وفهم المقاصد والوصول إلى الفهم و الإفهام باعتباره يقوم بدور أساسي في اشتغال الملفوظات سواء في ما يتعلق بأنشطة الإنتاج أو التأويل، و حصر عدد المعاني الممكنة من جهة ،و المساعدة على تبني المعنى المقصود من جهة أخرى.

وقد أفضت تلك الافتراضات إلى توليد مجموعة من الأسئلة:

- ما دور المقاصد في العملية التواصلية؟
- وما الدور الذي يؤديه السياق في معرفة مقاصد المتكلم ؟
- كيف يحدد السياق معاني الملفوظات في الممارسات اللغوية؟
- ما العلاقة بين السياق و الخطاب؟
- كيف يؤثر السياق في تلقي و تأويل الخطاب؟

- ما العمليات التي يقوم بها المتلقي لفهم الخطاب و تأويله؟
- و إلى أي مدى يسهم السياق في تأويل الخطاب؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة كان لزاما أن نبحث عن مدونة تستجيب لهذه الإشكالات وهي رواية "سمرقند" لـ"أمين معلوف" نشرت عام 1988م وهذه الرواية الرائعة الغنية بالتفاصيل و الأحداث، تتكون من أربعة كتب أساسية و ثمانية و أربعين فصلا، تدور أحداثها في مدن و مجالات و أزمنة جد متنوعة، تحتوي هذه الرواية المسرودة من طرف "بنجمين،ع،لوساج" على قصتين أساسيتين من أزمنة مختلفة ،ترتكز إحداهما على بنجامين نفسه ، بينما الأخرى فتعود إلى زمن "عمر الخيام".

حيث قمنا باختيار بعض المقاطع الخطابية من الرواية للحصول على عمل أكثر تنظيما بدل إدراج أمثلة متناثرة هنا و هناك، وما دفعنا لاختيار رواية سمرقند إضافة إلى الأسباب التنظيمية المذكورة سابقا هو أنه بعد قراءتها عدة مرات اتضح لنا أنها نص روائي خصب تتعدد فيه السياقات بمختلف عناصرها و تتنوع من أماكن و أزمنة و شخصيات حيث ينقلنا الكاتب من سمرقند و بساطتها إلى إنجلترا و ترفها ، بين البر و البحر في تشكيلات خطابية مثيرة.

وقد اعتمد البحث تنظيميا على مدخل و ثلاثة فصول تسبقها مقدمة و تتلوها خاتمة كما يلي:

- **مدخل:** تم التطرق فيه إلى علم النص و أهم تطورات الدراسات النصية لتصل إلى الجمع بين العناصر اللغوية و غير اللغوية لتفسير النص/الخطاب و تأويله.

حيث أصبح النص هو الوحدة الأساسية و الكبرى للتحليل، كما أصبحت اللغة تدرس استعماليا في التواصل ضمن الإطار الاجتماعي ، وقد تمثل هذا الاتجاه التواصلي لدراسة اللغة في الدراسات التداولية ، النحو الوظيفي، اللسانيات الاجتماعية، و تحليل الخطاب.

فبمجرد أن تخطت الدراسات اللسانية حدود الجملة نحو وحدة أكبر؛ اختلف الباحثون في تسمية تلك الوحدة، فمنهم من اعتبرها نصا ،و منهم من اعتبرها خطابا لذا حاولنا رسم الحدود الفاصلة بين النص و الخطاب.

- **الفصل الأول: السياق و التأويل في نظرية الانسجام النصي**

خصصنا هذا الفصل للحديث عن نظرية الانسجام النصي، فقدمنا مجموعة من التعاريف لظاهرة الانسجام الذي يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص، و هذه الروابط تعتمد على المتحدثين و السياق المحيط بهم ، فهو يرتبط بتعالق المعاني وفق عمليات الاستدلال و التأويل ، حيث يقوم القارئ بجهده التأويلي لربط أجزاء النص ربطا دلاليا عبر إقامة شبكة من العلاقات الدلالية.

كما تحدثنا عن آليات الانسجام و دور القارئ و جهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلاليا ، و ذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية ، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص متماسك الوحدات فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النصوص و ترابطها ، خصوصا إذا كان السياق الذي جاء فيه هذا النص بارزا و معلوما لدى هذا المتلقي.

حيث قمنا بعرض أهم تصنيف لآليات الانسجام من وجهة نظر علم النص يمثله "فان دايك" van djik، ومن وجهة نظر تحليل الخطاب يمثله الباحثان "براون و يول" brawn youl، و أدرجنا في هذا تعريف السياق و التأويل باعتبارهما أهم آليتين من آليات الانسجام.

- **الفصل الثاني: التفاعل الخطابي و سياق التخاطب**

تم التطرق فيه إلى دراسة بعض الجوانب النظرية المهمة في بحثنا بدءا بعلم التخاطب الذي هو دراسة علاقة العلامات بمستخدميها ، وهو حقل البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الذي ينتج أو يستقبل العلامة اللغوية ، و حالته و محيطه.

أو هو الدراسة العامة لكيفية تأثير السياق في الطريقة التي تفسر بها الجمل ، كما أنه دراسة دور عناصر التخاطب (المخاطِب ، المخاطَب ، الخطاب و المساق) في التأثير على القولات اللغوية من حيث تفسيرها و تأويلها.

ثم تعرضنا لقوانين الخطاب وهي قوانين يحاكم على ضوئها، نجاح الكلام أو فشله ، وقد أسماها سورل Sourl شروط النجاح، وجرايس Grice قواعد المحادثة، و ديكرو Dicrot بقوانين الخطاب.

كما تحدثنا عن الوظيفة التواصلية للغة، باعتبار التواصل اللفظي حدثا اجتماعيا يتم بواسطة الفعل الكلامي، و يتحقق ذلك عبر دائرة الكلام التي تفرض على الأقل وجود شخصين يتم بينهما التواصل ،ولأن دلالة الخطاب اللغوي تتعدد حسب تعدد سياقات التلفظ، فقد لا يكون ذا دلالة مستقرة دوما ، قمنا بالبحث في المقاصد و تعريفها و أهميتها حيث يرتكز دور المقاصد بوجه عام، على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، و تكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السياق بمجمله ، فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره.

- **الفصل الثالث: السياق و حدود التأويل**

وهو فصل تطبيقي اعتمدنا فيه على مقاطع خطابية من رواية سمرقند لأمين معلوف لإثبات فرضياتنا حول دور السياق في تأويل الخطاب، وذلك بالكشف عن المقاصد ضمن السياق و مدى مساهمته في تأويل الإحالات و العناصر الإشارية، و معرفة المعاني الضمنية في الخطاب.

و تم الحديث عن الإحالة لارتباطها بالمقاصد ، وكذا لمعرفة مدى فاعلية السياق في تأويل الإحالات النصية ، و الخارج نصية وذلك بأن يعتمد عنصر معين في النص على عنصر آخر والأول يفترض الثاني، حيث لا يمكننا فك شيفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني، لأن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها وفهمها و تفسيرها حتى يتم اتساق النص

و ذلك من منطلق أنها عناصر لا تمتلك دلالة مستقلة، فشرط وجودها هو النص من جهة، ومعرفة ما تشير إليه من جهة أخرى، وهذا يستلزم وجود سياق نصي و سياق خارج نصي.

كما حاولنا الكشف عن دور السياق في تأويل مضمرات الخطاب، ذلك أن أي تواصل يكون تصريحيا بشكل جزئي ،و يكون ضمنيا بشكل جزئي أيضا وكل دلالة تنشأ في قسم منها عن معطيات ضمنية، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريحي. كما بحثنا في دور السياق في الكشف عن مرجعيات التعبيرات الإشارية فعملية فهم ضمائر الخطاب تتطلب توفر مجموعة من المعلومات السياقية.

كما تحدثنا عن مجموعة من العمليات الذهنية التي يقوم بها المتلقي لفهم الخطاب أثناء التأويل ، كالافتراض و الاستنتاج و الاستدلال.

وقد كان لهذا الفصل مهمة الكشف عن فاعلية السياق في تأويل الخطاب و الفهم ؛حيث يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، و يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود.

وقد اقتضت طبيعة البحث و الدراسة الاعتماد على المنهج التداولي لأنه مناسب لهذا النوع من البحوث في ارتباطه بالسياق و الجانب الاستعمالي للغة ، ومقاصد المتكلم حين إصداره لملفوظاته و كذا بكل ما من شأنه أن يحفز المتكلم على تحريك العملية التبليغية سواء ارتبط ذلك بما تم التصريح به من ملفوظات أم لم يرتبط، وكذا ارتباطه بوظيفة المتلقي الأساسية لتأويل تلك الملفوظات أو في التبليغ عموما، حيث تلعب المقاصد دورا مهما في تأويل الخطابات باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا ، كما أنها ترتبط بالسياق في أنها تتجه إلى الظروف التي أسهمت في ظهورها حتى نتمكن من تأويلها.

ولاشك أن البحث يستند إلى مجموعة من المصادر و المراجع ذات الصلة بالموضوع أهمها: تحليل الخطاب - براون ويول، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) - عبد الهادي بن ظافر الشهري، اللغة و المعنى و السياق - جون لاينز ، لسانيات النص – محمد خطابي ، النص و السياق – فان دايك.

ولا نزعم أننا في هذا البحث قد تعرضنا له من كل الجوانب ،ذلك أن الموضوع واسع جدا وله تشعبات كثيرة تتطلب وقتا و جهدا أكبر ، ومع ذلك فإننا نأمل أن نكون قد حققنا أهدافنا المرجوة من هذا البحث ، و في الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتور"مجناح جمال" الذي كان بمثابة الوالد الذي تعهد البحث بالرعاية و خصه بجهده ووقته فله بالغ الشكر و العرفان، كما نتقدم بجزيل الشكر لأعضاء لجنة المناقشة : أ.د عقاب بلخير، د. سليمان بوراس، د. بوقرومة حكيمة.

مدخـــــــل :

1- الدراسات النصية

2- النص و الخطاب: إشكالية المصطلح

- مفهوم النص
- مفهوم الخطاب
- بين النص و الخطاب

1- الدراسات النصية:

حقق علم النص تطورا هائلا في العشرين سنة الأولى من وجوده؛ و أفضى إلى إدراك جوهري لبناء النصوص و تماسكها في علاقات ممتدة ، لقد ارتبط بذلك أيضا تجاوز الحدود اللغوية الصارمة، و توسيع رقعة علم اللغة في اتجاهات مختلفة ، حتى إن نقاده يتهمونه بالتطور في اتجاه علم شامل لابد أن يفضي حتما إلى غموض زائد في مفاهيمه المتخصصة و في إجراءاته[1]. ويعرف "سعيد حسن بحيري" لسانيات النص أو نحو النص فيقول : "نحو النص يراعي في وصفه و تحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل ، و يلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية و منطقية إلى جوار القواعد التركيبية ، و يحاول أن يقدم سياقات كلية دقيقة للأبنية النصية و قواعد ترابطها و بعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة". [2]

"وعلم اللغة النصي فرع معرفي جديد تكون بالتدريج في النصف الثاني من الستينات ، والنصف الأول من السبعينات، وبعد ذلك الوقت بدأ يزدهر ازدهارا عظيما، و تقوم المراجع المتخصصة الوفيرة شاهدا على الدرجة العالية التي يسهم بها هذا الوافد الجديد إسهاما حاسما مع العلوم اللغوية في تطور علم اللغة بشكل عام." [3]

ومصطلح "علم اللغة النصي" لا يظهر في الدراسات اللغوية عند القدماء من علماء اللغة العربية ،و لكن في وسعنا القول بوجود إسهامات قيمة و التقاءات بالغة الأهمية مع الأفكار التي يقدمها المحدثون الغربيون بهذا الشأن، ومن أبرز الأمثلة على ذلك نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، و الدراسات التطبيقية الواسعة لإعادة الصياغة عند ابن الأثير، و الإلحاح على أهمية الموقف الكلامي عند الجاحظ.[4]

---

1 - فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر:فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، دط ، دت، ص 7 .

2- ينظر:سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص : المفاهيم و الاتجاهات ، لونجمان، القاهرة ، دط ، 1997 ، ص99.

3- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي ،المقدمة ك.

4- ينظر: روبرت ديبوغراند- ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص ، تر: إلهام أبو غزالة- علي خليل أحمد ، مطبعة دار الكتاب ، ط1 ، 1993، ص 9.

وعلى الرغم من أن لسانيات النص لا يوجد خلاف حولها بالدرجة التي يحدث فيها التباين إلا أن الاختلاف الموجود هو حول المصطلح في حد ذاته ، حيث لم يكن موحدا سواء عند منظريه أم عند المترجمين.

حيث نجد من يستعمل علم دلالة النص ، علم نحو النص ، نحو النص ، التداولية النصية ،علم النص ، و علم اللغة النصي .

كما يعرف علم النص على أنه "العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية وغير لغوية لتفسير الخطاب و النص تفسيرا إبداعيا." [1] و يعرف مانغونو اللسانيات النصية بقوله: "يقصد باللسانيات النصية، التخصص الذي موضوعه هو النصية textualité أي خصائص الاتساق و الانسجام التي تجعل النص عبارة عن تسلسل للجمل". [2]

و لسانيات النص تدرس النصوص باعتبارها الوحدات الأساسية و الكبرى للتحليل بما أن اللغة هي وسيلة اتصال يستخدمها مجموعة من الأفراد للتوصل إلى أهداف معينة فالنص هو حدث اتصالي ، فلابد من الاهتمام بأمور مختلفة تتعلق بمنتج النص و مستقبله، و المحيط الثقافي و ما غايته و مقاصده ،كما يركز علم النص على النصوص في حد ذاتها، من قواعدها و أشكالها المختلفة ،و وظائفها المتنوعة .

وقد أسهم في ظهور علم النص أن المختصين تبينوا أنه ينبغي لهم بل حان الوقت أن يتجاوزوا في تحليلهم للنشاط الكلامي البشري حدود الجملة التي كان يعتقد جل اللغويين البنويين أنها الوحدة القاعدية للنظام اللغوي، أن يتجاوزوا الجملة إذن وأن يعتبروا النص هو الوحدة القاعدية للخطاب اللغوي . [3]

1- سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم و الاتجاهات ، ص 12
2- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،تر:محمد يحياتن ، ط1، 2008، الدار العربية للعلوم ، لبنان ، ص 129.
3- ينظر:خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ،الجزائر، ط2 ، 2006، ص 167.

"فعلم النص يدخل في حساباته دراسة النص من جوانب كثيرة ، بعضها لغوي و كثير منها غير لغوي ، مما يجعلنا ندرك حجم هذا العلم الذي يدخل في مناهجه علوما كثيرة متشابكة و متداخلة إلى حد كبير مثل اعتماده على البحوث التجريبية و المنجزات النظرية لعلم نفس المعرفة". [1]

كما أن تحليل النص في علم لغة النص لا يعرف الاجتزاء ولا يتوقف عند حدود ، ولا يقبل شروطا مسبقة ، والوصف ينتقل من مستوى إلى مستوى آخر في حرية و في صورة منظمة في إطار وحدة كلية. و يتحقق التدرج بين المستويات و مراعاة الاختلافات بين الأبنية و الدلالات و المقاصد في مقامات و سياقات تواصل اجتماعي في إطار نظرية شاملة يطلق عليها (نظرية النص) ، كما أن البحث في النص يضم إلى ما سبق البحث في عناصر خارج النص الفعلي تتعلق بعملية إنتاج النص، ودور المؤلف ودور المتلقي و آليات الفهم والاستيعاب و التذكر والاسترجاع و إعادة البناء و التفسير، وغير ذلك مما يوضح خصوصية هذا العلم.[2]

"فلم يعد يُكتفى بعلم يدرس العناصر اللغوية فحسب ، بل لوحظ أن العناصر غير اللغوية لا تقل أهمية عن العناصر اللغوية ، و بالتالي يجب إدراجها في الوصف". [3]

فنحو النص إنما هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة،تمتد قدرتها الشخصية إلى مستوى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة،وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدريجي ،يبدأ من علاقات مابين الجمل ،ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه .4

1 - أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2001، ص 32.
2- ينظر: سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم و الاتجاهات ص 142.
3- المرجع نفسه ، ص 148.
4- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي،أحمد عفيفي،ص 56.

أصبحت النصوص تدرس في الاتجاه التواصلي : نظرا إلى أن اللغة لا تظهر خصائصها إلا من خلال المنجز التلفظي في سياق معين ، فقد اتضح عدم كفاية الدراسة الشكلية سواء أكان ذلك من حيث التركيب، أم من حيث الدلالة المنطقية... وهذا ما دعا الباحثين لتطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل ضمن إطاره الاجتماعي، مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي بدءا من تحديده، بمعرفة عناصره، ودور كل عنصر منها في تشكيل الخطاب، و تأويله، وكذلك دراسات افتراضات المرسل عند إنتاج خطابه، ووسائله و أهدافه و مقاصده، أو التنبؤ بها.

وقد تمثل هذا الاتجاه التواصلي في مناهج كثيرة منها: الدراسات التداولية، و النحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب في مراحله المتأخرة ، من خلال ربطه بسياق إنتاجه.[1] حيث يعرف مانغونو Mangeunou تحليل الخطاب : لتحليل الخطاب تحديدات متنوعة ، ويوجد تحديد واسع جدا : " هو تحليل استعمال اللغة. "

و هناك تعريف آخر :"دراسة الاستعمال الفعلي للغة من طرف ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية ."[2]

"وتتميز الدراسات اللغوية التي تتخذ التواصل إطارا عاما لها بأنها دراسات لسانية مرنة، فهي تصف و تفسر استعمالات المرسل المتنوعة ، بل و عدوله عن بعض المعايير الثابتة في مستويات اللغة ليجعل خطابه مناسبا للسياق الذي يتلفظ فيه".[3]

"ومن الواضح أن "نحو النص" قد ارتبط ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب ووجود مذاهب نقدية جديدة تركز على النص كبنية كلية ، لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية ،

1- ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، لبنان ، ط1،2004 ، ص9 .
2- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 9.
3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،ص 11.

و على هذا اجتذبت النصوص علم النحو بناء على وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصية حيث صنع ذلك تطورا واضحا من نحو الجملة إلى نحو النص الذي يشمله و سياقه و ظروفه و فضاءاته و معانيه المتعالقة القبلية و البعدية ، مراعيا ظروف المتلقي و ثقافته و أشياء أخرى كثيرة تحيط بالنص."[1]

إذن فهو يهتم بالنص ودراسته من جوانب عدة، وكذا مختلف العلاقات القائمة بين عناصره.

وبما أن العنصر الحاسم في تكوين النص هو الدور الذي يقوم به في الاتصال الإنساني ، و لذا فإن علم لغة النص لا يتوقف عند كلمات النص و تحليلها في مستويات الدرس اللغوي من أصوات و صرف و نحو ودلالة فحسب ، و إنما يحاول النفوذ إلى ما وراء النص الجاهز من عوامل معرفية و نفسية و اجتماعية ، و من عمليات عقلية كان النص حصيلة لتفاعلها جميعا. [2]

2- النص و الخطاب إشكالية المصطلح :

لا يستقيم الحديث عن السياق و ما اتصل بهذا المفهوم من آليات و أدوات دون الإشارة إلى أننا نتحدث عنها في إطار وحدة أكبر من الجملة وهي الوحدة الأساسية للتحليل في دراسات لسانيات النص ، ومن الدارسين من يسمي هذه الوحدة "النص"، ومنهم من يطلق عليها لفظ "خطاب" وتبقى الإشكالية قائمة في رسم حدود فاصلة بين كل من النص و الخطاب.

1 - محمد مفتاح ، دينامية النص : تنظير و إنجاز ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ،1990 ،ص 30.
2- ينظر: روبرت ديبوغراند- ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص ، ص8.

1. مفهوم النص:

1-1 المفهوم اللغوي:

ونحن بصدد تعريف النَّص ، لا بد أن نبدأ بتدبر المفهوم اللغوي لهذا المُصطلح، وهو ما قد نستمد منه بعض المؤشرات التي يمكن أن تضيء لنا الدروب للاهتداء إلى تعريف النص على المستوى الاصطلاحي، كما أن من شأن ذلك أيضا أن يجعلنا نؤَصِّل لهذا المفهوم ، ونكوِّن عنه فكرة عامة و شاملة قبل الدخول في تشعباته و تعقيداته الناتجة عن تعدد الرؤى والمنطلقات والغايات و النص كجذر لغوي ليس دخيلا على اللغة العربية ، وما يثبت ذلك الرجوع إلى المعاجم العربية القديمة ، حيث تتضمن هذه المعاجم المادة المعجمية (ن.ص.ص) بدلالات متباينة ، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة "نصص" ما يأتي :

" نصص: النص: رفعُك الشيء. نص الحديث ينصُّه نصًّا: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نُصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصَّ للحديث من الزُّهري أي أرفع لـه وأَسندَ. يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نَصَصْتُه إليه. ونصَّت الضبية جيدَها:رفعته، وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمّي به ضربٌ من السير السريع. [1] "

- أما في (أساس البلاغة) فالنص يفيد الرفع. "النص: رفعك الشيء ، نص الحديث ينصه نصا: رفعه"[2]

- و هو في (القاموس المحيط)، المنتهى والاكتمال.[3]

1- ابن منظور، لسان العرب ، ج/6، دار لسان العرب، بيروت، 1988، ص 648.
2 - الزمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، بيروت ، دار المعارف ، 1982 ، ص 260.
3 - ينظر: الفيروز أبادي ،مجد الدين محمد : القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، المجلد الثاني، ص 331.

إذا فالنصّ في اللغة العربية يدور على معانٍ عديدة منها: الرفع، والإظهار، وجعل بعض الشيء فوق بعضه، وبلوغ الشيء أقصاه ومنتهاه، والتحريك، والتعيين على شيء ما ، و الوضوح والاكتمال. و كلها معان ليس لها علاقة بالمعنى الحديث لكلمة (نص) إلا في مجال علم الأصول؛ إذ يعني: " ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، أو ما لا يحتمل التأويل." [1]

ومن الدارسين مَن يستخلص خصائص النص بمعناه الحداثي من التفسيرات المعجمية التراثية العربية، فهذا منذر عياشي يعرّف النص استنادا إلى قراءته التراثية، لا سيما ما ورد في تفسير مادة (ن. ص. ص) ويمزج ذلك بما تحقق لـه من القراءات الحداثية لتعريف النص في اللغات الأوربية، فيقول :".. فالنص دائم الإنتاج لأنه مستحدث بشدة، ودائم التخلق لأنه دائما في شأن ظهورا وبيانا، ومستمر في الصيرورة لأنه متحرك، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية، وهو إذا كان كذلك، فإن وضع تعريف لـه يُعتبر تحديدا يُلغي الصيرورة فيه، ويعطل في النهاية فاعليته النصية. [2]"

أما حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة "نص" في اللغات الأوربية، فإننا نجد كلمتيْ: Texte, Text مشتقتين من "Textus" بمعنى النسج " Tissu " المشتقة بدورها من Texere بمعنى نسج. [3]

"إن كلمة (نص) (textus) اللاتينية، آتية من (نصّ) (texére) ، ومعناه بالعربية "نسج"، و لذلك فمعنى النص هو "النسيج". و مثلما يتم النَّسج من خلال مجموعة من

1- الشريف الجرجاني : التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ،ط1، 1978، ص 260.
2 عبد القادر شرشار ،تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2006، ص 18.
3 -Dictionnaire Quillet de la langue française ,(Q-Z) Librairie Aristide Quillet, Paris,1983

العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها بما يكون قطعة من قماش متينة ومتماسكة. "[1]

ونجد التعريف نفسه تقريبا لمصطلح (نص) في معجم (لاروس العالمي) حيث جاء فيه أن كلمة (نص) أتت من الفعل (نصَّ) (texére) و معناها نسج، و هذا ما يعني أن النص هو النسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار و توال للكلمات. [2]

نستنتج مما سبق أن مصطلح (نص) يرتبط بمفهوم النسج و الحياكة ، لأن واضع النص يضم الكلمات بعضها إلى بعض و يربطها لتشكل كلا منسجما ، متسقا ، مترابطا ، ذو دلالة معينة . مثل النساج الذي يضم الخيوط ببراعة و ينظم أجزاءها ليشكل هو الآخر نسيجا مترابطا.

1- 2- المفهوم الإصطلاحي :

لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للنص وتنوعت بتنوع التخصصات المعرفية وبتعدد الاتجاهات و النظريات و المدارس اللسانية، هذا ما أدى بالباحثين إلى التباين في إمكانية وضع تعريف موحد للنص يجتمعون عليه ، فلكل باحث تصوره وخلفياته المعرفية ،وسنرى هذا الاختلاف الكبير بين الباحثين في تعريف النص:

يعرفه"طه عبد الرحمان" بأنه : "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة المرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات."[3] و تبدو أهمية هذا التعريف للنص ، في أنه يظهر النص بأنه عبارة عن جمل مترابطة داخل بناء تربطه علاقات معينة .

1- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط1، 2008، ص 19.
2- ينظر: حمود، محمد ، تدريس الأدب: استراتيجية القراءة والإقراء ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1993 ، ص 25.
3- طه عبد الرحمان :في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط2،2000، ص35.

وربما يكون التعريف الأكثر مقبولية ذلك الذي وضعه كل من روبرت دي بوجراند ، وولفجانج دريسلر بأنه :" حدث يقصد به شخص توجيه المستقبل صوب بناء علاقات متنوعة لا تقتصر على العلاقات القواعدية وكذلك إلى التأثير في مواقف بشرية. " [1]

النص عندهما أكثر من مجرد شكل يفوق الجملة بل هو حدث يرتبط ، بمقاصد ينوي المرسل أن يحققها ، وهو لا يرتبط بالمستوى القواعدي فقط بل يتعداه ، وحتى تتحقق صفة النصية في ما أطلقا عليه نصا ، لا بد من توافر سبعة معايير مجتمعة وتزول عنه هذه الصفة إذا تخلف عنه واحد من هذه المعايير وهي " السبك ، والحبك ، القصد ، القبول ، الإخبارية ، المقامية ، والتناص[2]"

ورغم الجهود التي بذلها Vandjik في تعريف النص وتحديد مستوياته المكونة له ، إلا أن " هاليداي Haliday " و " رقية حسن " قدما تعريفات أكثر شمولية من تعريف " فان ديك " Vandijikومن ضمنها أن كلمة " نص " " تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة منطوقة كانت أو مكتوبة ، مهما طالت أو امتدت ،والنص وحدة اللغة المستعملة وليس محددا ، بحجمه ، و يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة3" . فالنص عندهما لا يحدد بالحجم إنما المهم أن يكون مترابطا شكليا و دلاليا.

أما " جوليا كريستيفا " Julia Kristiva تعتبر أن : " النص أكثر من مجرد خطاب أوقول ، إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية. [4]

أما "عبد المالك مرتاض" فلديه نظرة أخرى للنص وهي أن النص " شبكة من المعطيات اللسانية والبنيوية والإيديولوجية تتظافر فيما بينها لتكون خطابا ، فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا من أجل إنتاج نصوص أخرى ، فالنص قائم على التجددية بحكم مقروئيته ،

1- روبرت دي بوجراند : وولفجانج در يسلر ، مدخل إلى علم لغة النص ،ص10.
2- المرجع نفسه ، ص 8.
3 - صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ص 30.
4 - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع ، لونجمان ، ط 1، 1961 ،ص294

تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة" وبهذا فإن النص عنده مرتبط بالمتلقي أو القارئ الذي يمنحه صفة التجدد ويعيد تكوينه وتشكيله في كل مرة يقرؤه فيها.[1]

ومنهم من يعرف النص بأنه:"ليس مجموعة جمل فقط ، لأن النص يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا، نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا ، يمكن أن يكون أي شيء من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها من نداء استغاثة حتى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال اليوم في لقاء هيئة."[2]

ويشير "تزفيتان تودوروف Todorov " إلى أن مفهوم النص لا يقوم على المستوى نفسه الذي يقوم عليه مفهوم الجملة أو القضية، أو التركيب ..الخ. و يجب على النص، بهذا المعنى أن يكون متميزا عن الفقرة، و من وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل.

فالنص يمكنه أن يتطابق مع جملة كما يمكنه أن يتطابق مع كتاب كامل، و إنه ليتحدد باستقلاليته و بانغلاقه [3]

في حين يرى برينكر Brinker أن تعريفات النص المختلفة قد انطلقت من اتجاهين:

الاتجاه الأول: يقوم على أساس النظام اللغوي ، وقد اعتمدت معظم التعريفات فيه إلى حد بعيد على تحديدات علم لغة الجملة ذات الأصل البنيوي أو التوليدي التحويلي ،حيث يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل.

1- عبد القادر شرشار ، تحليل الخطاب الأدبي ، وقضايا النص ، ص 25.
2- نور الدين السد :الأسلوبية و تحليل الخطاب ،دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،1997، ص33-34.
3 - منذر عياشي : العلاماتية وعلم النص(نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2004، ص 109.

الاتجاه الثاني:يقوم على أساس نظرية التواصل ، فيعرف النص بوصفه فعلا لغويا معقدا يحاول المتكلم به ، أو كاتبه أن ينشئ علاقة تواصلية معينة مع السامع و القارئ، وترتكز في ذلك على نظرة الفعل الكلامي المتطورة داخل الفلسفة اللغوية الأنجلوسكسونية. [1]

واقترح برينكر في نهاية عرضه للاتجاهين مفهوما للنص يجمع و يدمج الجانبين ؛اللغوي البنيوي والتواصلي السياقي، فيعرف النص على أنه : "وحدة لغوية تواصلية في الوقت نفسه."[2]

2. مفهوم الخطاب :

2-1 الخطاب في الدراسات العربية:

جاءت مادة خطب في لسان العرب " الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن . قال الليث : إن الخطبة مصدر الخطيب ، لا يجوز إلا على وجه واحد ، هو أن الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ، فيوضع موضع المصدر[3]. "

أما من ناحية صيغة لفظ الخطاب ، فهو: أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا و مخاطبة وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم ، نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدلالة على الاسمية ، فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به و هو الكلام. [4]

وقد جاءت مادة خطب في عدة مواضع من القرآن الكريم ، حيث ترددت اثنتي عشرة مرة كما هو وارد في معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، منها قوله تعالى :[5] " وإذا

1 - كلاوس برينكر: التحليل اللغوي النصي، تر:سعيد حسن بحيري،مؤسسة المختار،القاهرة، ط 1 ،2005 ، ص22-23.
2-المرجع نفسه ،ص 28.
3 - ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1، 1955، ج / 1مادة خطب ص223.
4 - إدريس حمادي :الخطاب الشرعي وطرق استثماره، الثقافي العربي- بيروت،ط1، 1974، ص 2
5- ابراهيم : محمد اسماعيل، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت ، مادة خطب ، ص ص 196- 197.

خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (الفرقان :63) و قوله أيضا:" لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون "(المؤمنون: 27)

ولفظ الخطاب أكثر ما يرد عند الأصوليين، لأن غايتهم هي معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة والتي هي الخطاب[1] ،فالخطاب هو اللبنة الأولى التي تقوم عليها أعمالهم، ولذلك اهتموا به خلال المعرفة بمفهومه وأقسامه وموضوعه والعناصر اللغوية التي تشكله والعناصر غير اللغوية التي تسهم في عملية الفهم .

غير أن بعضهم أهمل مفهومه، في حين عرفه بعضهم بأنه :" أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطابا ومخاطبة ، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم ، نقل من الدلالة على الحدث المجرد عن الزمن إلى الدلالة على الاسمية فأصبح في عرف الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام."[2]

ومن المفاهيم التي أعطيت للخطاب عند الأصوليين أنه " الكلام الذي يفهم منه المستمع شيئا"[3]

وقد أعطى الآمدي للخطاب تعريفا أكثر دقة إذ يعرفه " أنه اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه ." [4] فالآمدي يرى ضرورة اتفاق المتكلم والمستمع على اللفظ على أن يكون قصد المتكلم هو إفهام المستمع كما ينبغي أن يكون هذا المستمع قادرا على فهم قصد المتكلم.

1- إدريس حمادي :الخطاب الشرعي وطرق استثماره ،ص17.
2- المرجع نفسه ، ص 21.
3- الآمدي : الأحكام في أصول الأحكام ، ت ح : احمد محمد شاكر ، ط1 ، 1980 ،دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، 136/1.
4- المرجع نفسه، 136/1 .

2-2 الخطاب في الدراسات الغربية :

ظهر مصطلح "الخطاب" في حقل الدراسات اللغوية في الغرب، ونما و تطور في ظل التفاعلات التي عرفتها هذه الدراسات، ولاسيما بعد ظهور كتاب "فرديناند دي سوسير" الذي تضمن المبادئ العامة التي جاء بها و أهمها التفريق بين الدال و المدلول ، واللغة كظاهرة اجتماعية، و الكلام كظاهرة فردية.

فارتبط استعمال مصطلح الخطاب عند الغربيين بفكرة الثنائية اللغوية – اللغة والكلام– التي وضعها دي سوسور، الذي ميز بدقة بين اللغة والكلام ، واللغة عنده نتاج اجتماعي لملكة اللسان[1]، فاللغة ظاهرة عامة يشترك فيها أفراد مجتمع معين ، في حين أن الكلام هو كل ما يلفظه أفراد مجتمع معين ، أي ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة .[2]

يرى (مانغونو) أن مصطلح (خطاب) يدخل في سلسلة من التقابلات ليكتسي قيما دلالية أكثر دقة ومن هذه التقابلات :[3]

1- خطاب/ جملة: الخطاب يتكون من وحدة لغوية ، قوامها سلسلة من الجمل.

2- خطاب /ملفوظ: فضلا عن طبيعة الخطاب الشكلية ، فإنه يؤلف وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة ، أي كل ما يمثل نوعا خطابيا معينا. مثال ذلك : نقاش متلفز، مقالة صحفية ، رواية ، وغيرها من أنواع الخطاب ، ومن هذه الوجهة يحيل الملفوظ و الخطاب على وجهتي نظر مختلفتين ، فالنظر الملقى على النص من حيث بناؤه اللغوي يجعل منه ملفوظا ، في حين أن الدراسة اللغوية لظروف إنتاج النص تجعل منه خطابا.

1- ينظر: رابح بوحوش : الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، مديرية النشر ، جامعة باجي مختار ، عنابة الجزائر ، 2004، ص 75.

2- سارة ميلز:الخطاب ، تر: يوسف غول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري قسنطينة ،ط1-2004، ص1.

3- ينظر: دومينيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص ص 38 39.

3- خطاب /لغة: فاللغة من حيث هي نظام من القيم المقدرة ، مخالفة للخطاب ، أما استعمال اللغة في سياق معين ، إذ يحدد في الوقت نفسه قيمه أو يستثير قيما جديدة هو من قبيل الخطاب. فاللغة من حيث هي نظام مشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، مخالفة للخطاب من حيث هو استعمال محدد لهذا النظام ...

4- خطاب/ نص : ينظر إلى الخطاب من حيث هو ارتباط النص بسياقه.

ورد في معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات عدة مفاهيم للخطاب : [1]

"يستعمل هذا المصطلح في اللسانيات بوجهين على الأقل:

1- يقابل بنفينيست Benvinist بين اللسان بوصفه نسقا من العلامات ، والخطاب بوصفه "إنتاجا للمرسلات " فالخطاب إذا قريب من الكلام أو التلفظ ، و هو يحيل داخل اللسان إلى كل ما لا يمكن تحديده خارج مستوى استعمال الفاعل المتكلم لهذا اللسان .

2- يمكننا أن نعني بالخطاب كل وحدة تتجاوز حجم الجملة ، فالخطاب إذا يمثل مجموع الجمل المترابطة عبر مبادئ مختلفة للانسجام.

3- يعرف "ديكرو Dicrot" مثلا الخطاب بوصفه تتابعا للملفوظات تتقاسم المقتضيات نفسها كما هو في مقطع السؤال التالي مثلا:

1- ما هي وجهتك في العطلة ؟

2- إلى إيطاليا .

3- سأذهب إلى طبيب الأسنان.

يؤلف المقطع 1 +2 خطابا ضمن الإطار الذي يتقاسم فيه المتخاطبين المقتضى نفسه ، فالمرسل إليه في الجملة 1 بصدد قضاء عطلة ، أما المقطع 1+3 فلا يؤلف خطابا ،

1 - ماري نوال غاري بريور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، تر:عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر،2007،ص49

فقط لأن الجملة 3 لا تراعي مقتضى الجملة 1، نظرا لوجود قطيعة تجمد استمرارية الخطاب.

أيا يكن تعريف الخطاب ضمن حدود هذا التصور ، فإن اللسانيات الخطابية تقوم على فرضية الاعتقاد بإمكانية صياغة قواعد تتعلق بتسلسل الجمل ، ذلك لأن الخطاب يتأسس في جوهره عل بعض أشكال الانسجام التي تسمح بتأويل الجمل المكونة له ضمن علاقات البنية.

ومفهوم الخطاب قد نال التعدد و التنوع ، وذلك بتأثير الدراسات التي أجراها عليه الباحثون ، حسب اتجاهي الدراسات اللغوية الشكلية و الدراسات التواصلية ولهذا ، فهو يطلق إجمالا على أحد مفهومين ؛ يتفق في أحدهما مع ما ورد قديما عند العرب ، أما في المفهوم الآخر ، فيتسم بجدته في الدرس اللغوي الحديث.

وهذان المفهومان هما: الأول: أنه ذلك الملفوظ الموجه إلى الغير بإفهامه قصدا معينا والآخر: الشكل اللغوي الذي تجاوز الجملة .[1]

وهناك من يعرف الخطاب بالنظر إلى ما يميزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين أي بوصفه جملة أو أكثر أو أقل ، فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب لأنه الملفوظ منظورا إليه من وجهة نظر آليات و عمليات اشتغاله في التواصل ، و المقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين ، وهذا الفعل هو عملية التلفظ ، و بمعنى آخر يحدد (بنفنست Benvenist) الخطاب بمعناه الأكثر اتساعا بأنه كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا و عند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما.[2]

1- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،ص ص 36-37.
2- ينظر: المرجع نفسه ،ص 37.

3. بين النص و الخطاب:

إن التمييز بين الخطاب و النص أصبح يطرح إشكالا كبيرا ، نظرا لتعدد الآراء و اختلافها و كثرة التصورات و تضاربها ، و لقد تشعبت الآراء حول ثنائية النص / الخطاب حتى عدهما البعض مترادفين.

ويرى الباحث سعيد يقطين أنه :" بتخطي الدراسات اللسانية عتبة الجملة نحو وحدة أكبر ، أصبيت المصطلحات باضطراب و تعتيم و حدوث خلط في ضبط المفاهيم ، فهذه الوحدة الأكبر : هي عند البعض (الملفوظ)، وعند آخرين (الخطاب)، و عند آخرين (النص)...، و كل واحد من هذه المصطلحات متعدد الدلالات و المعاني ، وقد يقابل بعضها الآخر أو يرادفه في هذا السياق أو ذاك، وبحسب هذا الاتجاه أو الآخر."[1]

_ يقول مانغونو في التفرقة بين النص و الخطاب : "في منظور هذه الفكرة القائلة باستقلالية النص الكبرى إزاء السياق ، فإن مصطلح النص قد حظي بالتفضيل من قبل اللسانيات النصية (نحو النص) ، أما حين يستعمل لفظ الخطاب فيحصل حينئذ ربط الملفوظ بمقام تلفظ متميز، وحينما يستعمل لفظ النص فيتم التشديد على ما يضفي عليه وحدته التي تجعل منه كيانا و ليس سلسلة بسيطة من الجمل... "[2]

مما سبق نستنتج أن الخطاب قد ارتبط بالجانب الشفوي بينما ارتبط النص لدى الكثير من الباحثين بالجانب المكتوب منهم "بول ريكور" في قوله :" لنسمِّ نصا كل خطاب تثبته الكتابة ، وعلى هذا يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص." [3] ولعل هذا الفرق إنما يرجع إلى كون النص مادة خام يصنع منها الخطاب، بإضافة بعض المواد الخارجة عن اللغة و المتمثلة أساسا في ظروف إنتاج النص.

1 - سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي : الزمن ، السرد ، التبئير، بيروت ، المركز الثقافي العربي، 1989، ط1، ص 16.
2- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 43.
3- بول ريكور، من النصّ إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2001؛ ص105 .

ويشير دومينيك مانغونو و باتريك شارودو إلى ارتباط الخطاب بظروف إنتاجه حيث يضعان الخطاب مقابل النص من حيث أن الخطاب يتصور باعتباره إقحاما لنص في مقامه أي: ظروف إنتاجه و تقبله.[1]

كما يبينان في الأخير ارتباط النص بالخطاب : "من المستحسن من جهة أخرى، أن نميز بين النص و الخطاب باعتبارهما الوجهين المتكاملين لشيء مشترك تتكفل به اللسانيات النصية."

وفي منظور هذه الفكرة القائلة باستقلالية النص الكبرى إزاء السياق، فإن مصطلح النص قد حظي بالتفصيل من قبل اللسانيات النصية أو (نحو النص)، أما حين يستعمل لفظ "خطاب" فيحصل حينئذ ربط الملفوظ بمقام تلفظ متميز، و حينما يستعمل لفظ "النص" فيتم التشديد على ما يضفي عليه وحدته التي تجعل منه كيانا و ليس سلسلة بسيطة من الجمل.[2]

بينما جوليا كرستيفا فتستدرك نظريتها المتعلقة بالنص و الخطاب ، و ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول ، إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية... و بهذه الطريقة فإن النص جهاز غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة يكتشف العلاقة بين الكلمات التواصلية. [3]

1- ينظر: باتريك شارودو- دومينيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، ص181.
2- ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 128.
3- ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 211- 212.

الفصل الأول: السياق و التأويل في نظرية الانسجام النصي

- **المبحث الأول: الانسجام النصي تعريفه و مبادئه :**
  - **مفهوم الانسجام**
  - **آليات الانسجام**
- **المبحث الثاني: انسجام النص عند فان دايك :**
  - **ترتيب الخطاب**
  - **الخطاب التام و الخطاب الناقص**
  - **موضوع الخطاب- البنية الكلية**
- **المبحث الثالث: انسجام النص ج، براون – ج.يول:**

1- السياق

- **السياق في القاموس العربي و الغربي**
- **السياق في الدراسات الغربية**
- **أنواع السياق**
- **عناصر السياق**

2- التأويل

- **مبدأ الفهم المحلي**
- **مبدأ التشابه**
- **التغريض**

« إن الافتراض الأساس أن كل نص يعتبر مكونا من مكونات سياق ظرف معين »

جي آر فيرث

1- مفهوم الانسجام :

تجمع دراسات لسانيات النص الحديثة أن النص مهما طال أو قصر، يتميز بجملة من المقومات أو الخصائص المقالية، تعود إلى اتساقه أو تماسك نسيجه التركيبي أو البنيوي، ومقومات أو خصائص سياقية مقامية، تعود إلى انسجام تلك البنية أو ذلك النسيج مع مقاصده أو أغراضه التبليغية، و هذه و تلك ترتبط ارتباطا وثيقا بتحقق ما يعرف ببنية النص ليتحقق ما يعرف في نحو النص بالاتساق و الانسجام.

وما يهمنا في بحثنا هو الانسجام لارتباطه بالمعنى.

مصطلح الانسجام cohérence أو الترابط النصي يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص، و هذه الروابط تعتمد على المتحدثين و السياق المحيط بهم[1].

فهو إذن يتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي [2]. أي يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص [3].

فهذه العلاقات تحتاج من القارئ جهدا في التفسير و التأويل و توظيف ما في مخزونه من معارف و معلومات و تجارب سابقة عن العالم للكشف عنها و تحقيق عملية التواصل.

من المعلوم أن لسانيات النص تنظر إلى النص نظرة كلية مما أدى إلى البحث في تماسكه، فكان من ذلك الاتساق الذي يعتبر من أهم أدوات هذا العلم حيث يختص بالبنية السطحية الظاهرية التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث

[1] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ص94.
[2]- ينظر: أحمد عفيفي ، نحو النص، ص 90.
[3]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ص95.

قصد الغوص في أعماق النص و البحث في خباياه التي تساهم ترابطه من جهة المعاني والأفكار المتواجدة فيه وهو موضوع الانسجام.

فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي ، و نقطة وصول إلى تماسكه الكلي لأن النص عندما يكون مترابطا من الناحية الشكلية و لا يكون مترابطا من الناحية الفكرية نقول بأن نصيته لم تكتمل.

وقد حدد "سوفنسكي sovenski" الانسجام بقوله :"يقضي للجمل و المنطوقات بأنها محبوكة إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصي أو موقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات."[1]

وقد توصل "فان دايك" إلى نتيجة مفادها أن تحليل النصوص يعتمد أساسا على رصد أوجه الربط و الترابط و الانسجام و التفاعل بين الأبنية الصغرى الجزئية و البنية الكلية التي تجمعها في هيكل تجريبي منتظم.[2]

واعتبر "ديبوجراند" و "دريسلر" الانسجام معيارا يختص بالاستمرار المتحققة في عالم النص، و المقصود منها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم و العلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم. [3]

ويذهب "محمد خطابي" إلى أن الانسجام أعم من الاتساق كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص و تولده ، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا أو غير المتحقق أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام) [4].

[1]- محمد العبد ، حبك النص ، منظورات من التراث العربي ، ص 55.
[2]- سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، ص 220.
[3] - ينظر : روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص 201.
[4] - محمد خطابي، لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1990، ص 6.

فتفاعل القارئ و النص يكشف عن القيم الأدبية و الجمالية للنص فيحقق المعنى الكلي بتحقق التواصل بين المنتج و المتلقي ، و الانسجام لا يتحقق بالعناصر اللغوية بل بالعناصر الغير لغوية، فهو يركز على المستوى الدلالي و التداولي.

و يتحدث الباحث "جان ماري سشفاير" عن الانسجام بقوله: أنه لا يتعلق بمستوى التحقق اللساني ، و لكنه يتعلق بالأحرى بتصور المتصورات التي تنظم العالم النصي بوصفه متتالية تتقدم نحو نهاية. و يضمن الانسجام التتابع و الاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام ، و هذا يفترض قبولا متبادلا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النص المصمم بوصفه بناءا عقليا ، و يمكن للروابط بين المتصورات أن تكون من طبيعة مختلفة: نسبية ، غائية ، قياسية ، إلى آخره ، و يبدو من جهة أخرى أن العلاقات بين المتصورات لا تنشطها دائما التعابير اللسانية الفوقية ، ولكنها تستلزم دائما اللجوء إلى الاستدلال، (وتمثل هذه الحالة الضمنيات الغير مفترضة مسبقا ، والتي على عكس المفترض مسبقا تشكل جزءا من المعنى اللساني المحض- تنتمي إلى المستوى النصي.)[1] فالانسجام لديه هو تعالق المعاني و ارتباطها وفق عمليات الاستدلال و التأويل.

❖ آليات الانسجام:

إن الحديث عن آليات الانسجام، يقودنا إلى الحديث عن دور القارئ و جهده التأويلي الذي يبذله لربط أجزاء النص دلاليا ، و ذلك بالتدرج في بنية معرفية كلية ، تكون بدايتها رصد العلامات الخفية التي تجعل من النص متماسك الوحدات فالمتلقي المبدع له دور كبير في الحكم على انسجام النصوص و ترابطها ، خصوصا إذا كان السياق الذي جاء فيه هذا النص بارزا و معلوما لدى هذا المتلقي.

[1]- منذر عياشي، العلاماتية و علم النص(نصوص مترجمة) ،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2004،ص 134 .

باعتبار أن النص يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام و التماسك بين تلك العناصر و تسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية و الروابط الإحالية في تحقيقها.[1]

و قد اختلفت آراء الباحثين حول آليات الانسجام منها :

1- فان دايك : انسجام النص

لقد وصل هذا الباحث الهولندي و مدرسته إلى أهم نتائج دراسات الأبنية النصية الكبرى و تماهيها مع البحوث البلاغية. [2]

وفان دايك في تحليله للنصوص يولي اهتماما كبيرا بالجانب الدلالي لأنه يبرز عددا ضخما من السمات النصية، كما أن الكلمات لا تظهر وظائفها بشكل جلي إلا من خلال العلاقات الدلالية الخاصة بمركب ما أو جملة ما ، يقول : "فعلى الرغم مما قيل من ورود علاقات مورفولوجية و تركيبية بين الجمل المتتابعة ، فإنه يتضح أن العلاقات بين هذه الجمل ذات طبيعة دلالية في الغالب، ومن ثم يستند فيها على معنى الجمل و الإحالة."[3] كما يرى أن كل مضمون بجملة يدل على قضية ، أو ما يسمى أيضا بالبنية العميقة فإذا أوردت قضيتان ، ق و ك تفسران على أنهما الواقعة أ و ب فإنه يمكن أن نقول مؤقتا أن بين هذه القضايا يوجد رابط داخلي.[4]

[1]- سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 2005، ص 78.
[2] - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 234.
[3] - فان دايك ، علم النص (مدخل متاخل الاختصاصات) ، تر: سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2001، ص46.
[4]- المرجع نفسه ، ص 49.

وقد حصر فان دايك مظاهر انسجام الخطاب في [1] :

1- ترتيب الخطاب:

ويسميه أيضا الترتيب العادي للوقائع في الخطاب ، ذلك أن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم ، و قد بين أن هناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص تتمثل فيما يلي :

العام – الخاص

الكل – الجزء

المجموعة – المجموعة الفرعية العنصر

المتضمِّن – المتضمَّن

الكبير – الصغير

الخارج – الداخل

المالك – المملوك

2- الخطاب التام و الخطاب الناقص :

وهو مظهر من مظاهر انسجام الخطاب عند فان دايك و المقصود عنده بالخطاب التام أن كل الوقائع المشكلة لمقام معين توجد في الخطاب ، أو بمعنى آخر أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء، بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية و من ثم يميز "فان دايك" بين:

- الخطاب التام – الخطاب الصريح
- الخطاب الناقص – الخطاب الضمني

[1]- ينظر : محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص ص 38، 42.

لكن هناك من الباحثين من لا يجعل تمام الخطاب مظهرا قارّا ملازما لكل أنواع الخطابات.

3- موضوع الخطاب – البنية الكلية:

يعد موضوع الخطاب بنية دلالية دلالية بواسطتها يصف "فان دايك" انسجام الخطاب و بالتالي يعتبر "أداة إجرائية" حدسية بها تقارب البنية الكلية للخطاب ، ويعتبر فان دايك نفسه بأن هذا الموضوع "فضفاض".

2- ج. براون – ج يول :

تطرق الباحثان في كتابهما "تحليل الخطاب" إلى مبادئ و عمليات الانسجام فيجعلان المتكلم / الكاتب، و المستمع / القارئ في قلب عملية التواصل ، و للإشارة فإنهما لا يعتبران انسجام الخطاب شيئا معطى ، و إنما في نظرهما شيء يُبنى ، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته و نص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص ما بأنه منسجم و على آخر بأنه غير منسجم ، و بانجلاء هذه المسألة فحسب يمكننا فهم تركيزهما على انسجام التأويل و ليس على انسجام الخطاب بتعبير آخر ، يستمد الخطاب انسجامه من فهم و تأويل المتلقي ليس غير.[1]

وهنا يظهر دور القارئ في الحكم على النص إذا كان يتميز بالانسجام أم لا فيقولان: " إن المتكلمين/الكتَّاب هم الذين يطرحون موضوعات و فرضيات، و يضعون المعلومات التي لا تهم بنية معرفية...وأن السامع/القارئ هو الذي يقوم بعملية التأويل والانسجام." [2]

[1]- محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 51.
[2]- براون و يول ، تحليل الخطاب ، ص ك (المقدمة)

للبرهنة على رأيهما يقدمان نصوصا تفتقر إلى الروابط الشكلية، و مع ذلك يستطيع القارئ فهمها و تأويلها ، أي اعتبارها نصوصا منسجمة رغم تفككها الظاهر منها :

- مناظرة ابستيمية : الثلاثاء ، 3 يونيو ، ز. ستيف هارلو (شعبة اللسانيات – جامعة يورك)

هذا النص عبارة عن إعلان في لائحة إعلانات جامعة إدنبورغ و هو إعلان مقتصد أشد ما يكون الاقتصاد في طريقة الإخبار ، و لكن القارئ لا يقف عاجزا أمامه ،نحن نعلم يقول الباحثان :"أن ستيف هارلو و ليس شخصا اسمه مناظرة ابستيمية سيلقي محاضرة و ليس الكتابة أو الغناء أو عرض شريط سينيمائي ، عن العنوان الموضوع بين مزدوجتين في جامعة ادنبورك و ليس في يورك لأنها الجامعة التي جاء منها و في الثالث من يونيو المقبل في الوقت المبين في الإعلان..."

كيف وصل القارئ إلى هذا التأويل؟ هناك مبدآن اثنان يمكن الاعتماد عليهما ؛أولهما واقع كون مكونات الإعلان متجاورة إذ رغم عدم وجود روابط شكلية تربط السلاسل اللغوية المتجاورة، فإن واقع كونها متجاورة يجعلنا نؤولها كما لو كانت مترابطة، و ثاني المبدأين هو افتراض الانسجام وهو مبدأ مرتبط بالأول ، و ذلك أن المتلقي ينطلق من افتراض أن الخطاب كيفما كانت طريقة تقديمه، ورغم خلوه من الروابط الشكلية ،خطاب منسجم ثم يبحث بعد ذلك عن العلاقات الممكنة (المتطلبة) من أجل بناء انسجامه و بالتالي الوصول إلى قصد الرسالة التي ينقلها الخطاب.

و بالإضافة إلى ذلك يعتمد المتلقي على ما تراكم لديه من تجارب سابقة في مواجهة أمثال هذا الخطاب... بل كثيرا ما يملك المتلقي معرفة أعلى مما يقدمه الخطاب نفسه. [1]

[1] - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 52.

وبصفة عامة يمكن إبراز منظور كل من "براون و يول" حول الانسجام في النقاط التالية:[1]

1- أنهما يهتمان بالانسجام في النص منظورا إليه من جملة المتلقي، و ذلك بدراسة العمليات التي يوظفها هذا الأخير لبناء انسجام النص.

2- يستعملان بعض المفاهيم التي تسهم و تساعد في انسجام النصوص، مثل معرفة العالم و المدونات و الأطر.

3- يعتبران الانسجام مرتبطا بالقدرة على الفهم والتأويل.

4- يتعاملان فقط مع النصوص و الخطابات المستعملة لأغراض تواصلية (تفاعلية).

وبصفة عامة فإن جهود كل من "فان دايك" و "براون و يول" ، حول الانسجام أخذ أمرين بعين الاعتبار : الأول هو السياق الذي أنتج فيه النص ، و الأمر الثاني هو أهمية المتلقي في التعامل مع النص. [2]

[1]- محمد خطابي ، لسانيات النص، ص 89- 90.
[2]- المرجع نفسه : ص 90.

❖ آليات الانسجام في مقاربة براون ويول:

1- السياق:

يعد منهج النظرية السياقية من المناهج الأكثر موضوعية و مقاربة للدلالة ، و هذا ما يجعلنا لا نستغرب إذا ما أثبت أن الاهتمام و البحث و التنظير لمصطلح السياق le contexte كان و ليد علم الدلالة اللغوي la sémantique linguistique، الذي يعتبر علما حديثا بمقارنته مع العلوم اللغوية الأخرى، و قد كان اهتمامه بالمعنى الشيء الذي أفضى به إلى اهتمامه بالسياق كأداة إجرائية تلعب دورا هاما في تحديد المعنى ، و لأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها الباث، ومن أجل هذا نجد المهتمين بعلم الدلالة قد اتفقوا على أن للكلمة معنى قاعديا sens de base ، و معنى سياقيا sens contextuel[1].

وبما أن مفهوم السياق contexte تطور، إذ لم يعد يقتصر على الجانب اللغوي في إيضاح دلالة الصيغة اللغوية، و إنما وجدت جوانب أخرى قد تنحسم معها الدلالة المقصودة للكلمة، كالوضع و المقام الذي يحدث فيه التواصل، أو الملامح الفزيولوجية النفسية للمتكلم التي تصاحبه أثناء الحديث.

سنتحدث عن مفهوم "السياق" انطلاقا من تعريفه من خلال المعاجم العربية و المعاجم الغربية، لنبين الفرق الموجود بينها في تعريف هذا المصطلح، ثم سنحاول أن نتطرق إليه من خلال المناهج الحديثة كاللسانيات النصية و تحليل الخطاب و التداولية .

[1]- ينظر: علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري(من البنية إلى القراءة) ،ط1،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء 2000،ص15 .

❖ السياق في القاموس العربي و الغربي:

تعرف القواميس العربية مصطلح "السياق" بشكل مختلف، بحيث لا نجد معنى هذا المصطلح نفسه في كل القواميس ،حيث يعرفه "ابن منظور" في معجمه لسان العرب حيث أدرج لفظ السياق في مادة "سوق" فيقول : " ساق الإبل و غيرها ، يسوقها سوقا و سياقا، و هو سائق و سوَّاق (...) و ساق إليها الصداق و المهر سياقا و أساقه (...) و ساق خلال من امرأته أي أعطاها مهرها، و السياق : المهر ، وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت، و يقال فلان في السياق أي في النزع أثناء الموت

و السياق: نزع الروح."[1]

نلاحظ أن معنى مادة السياق عند ابن منظور جاءت في ثلاثة معان وهي ، قاد ،أعطى، نزع.

أما "الزمخشري" في معجمه "أساس البلاغة" فنلاحظ أنه أعطى دلالة أخرى للفظ السياق و الحديث (الاستعمال)، فيقول في مادة "سوق" أن:" س و ق، ساق النّعم فإنساقت، ومن المجاز :ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر(...) وساقت الرِّيح السحاب، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، "وإليك يِ ساق الحديث" وهذا الكلام مساقة إلى كذا وجئتُك بالحديث على سوقِه: أي على سرده." [2]

فالزّمخشري رغم تفطنه إلى العلاقة القائمة بين السياق والحديث إلاّ أنّه لم يخرج عن الإطار الذي عرفت من خلاله مصطلح "السياق" القواميس العربية.

كما نجد أيضا معجم "الوسيط" يحذو حذو المعجمين الأوّلين، فرغم اعتباره المعجم

العربي الذي حاول التّجديد ،والتّغيير في الأسس التي اعتمدتها الدراسات المعجميّة

[1] - ابن منظور: لسان العرب، ج3،دار الجيل، دار لسان العرب ،بيروت 1988 ،ص15 .
[2] - أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: عبد الرّحيم محمود، دار المعرفة، بيروت 1979، ص15.

العربية السابقة، إلاّ أنّه لم يقدم لنا شيئا جديدا، بخصوص لفظ "السياق" حيث يعرّفه على أنّه: "المهر، وسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، والسِّياق: النّزع، يقال: هو في السياق: الاِحتضار."[1]هذا فيما يخصّ تعريف المعاجم العربية لمادة "السياق"، أمّا المعاجم الغربيّة فنجدها تحدد لنا مصطلح "السياق" بنوع من التّعمق لأنّها معاجم متخصصة، فنجدها تحيط هذا المصطلح بكل جوانبه التي تكونه.

أمّا في "معجم السّيميائيات" لـ "غريماس وكورتيس" فنجد مصطلح " السياق معرف بأنه : " مجموع النّصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبيّة معيّنة وتتلّعق بها الدلالة (signification La)، حيثيمكن له أن يكون صريحا (Explicite)أو لسانيّا، ويمكن أن يكون ضمنيّا (implicite) ويتميّز في هذه الحالة بأنّه سياق خارج لسانيّ (linguistique extra)أو مقاميّ(Situationnel)، وقد ذكر الباحثان في نفس السياق، أنّ جاكبسون في التّرسيمة التي يحدّد بها الوظائف التّواصلية، وضع السياق كعنصر من أهمّ العناصر التي تشكّل النّشاط اللّغويّ وماثلة بالمرجع، " إنّها الوظيفة المرجعيّة للّغة" والتي تعتبر ضروريّة في توضيح الإرساليّة، سواء كان السياق منطوقا أو قابلا للنّطق". [2]

ونجد تعريفا آخر عند "جورج مونان" في "قاموسه اللّساني"، الذي يركّز كثيرا على السياق اللّساني، فيقول أن "السياق" هو علامة شكليّة موجودة في المحيط اللّساني الحق، ويعتبر السياق على أنّه ترجمة بواسطة أساليب لسانية محضة ، والتي تشارك في المقام لفهم الرّسالة، ويبين لنا ذلك بالمثال الآتي: في حالة ما إذا وضعنا قلما فوق طاولة، نقول: أعطه لي، في حين نكتب العكس: أعط لي القلم الذي فوق الطاولة، فنفهم الحالة الثّانية بتدخّل السّياق اللّساني الذي يفكّ الغموض الموجود، وحتى في حالة الجناسات، مثلا عندما نقول: "إمرأة قاتلة"، و"حادث قاتل"،

[1]- معجم الوسيط، تأليف :مجموعة من المؤلّفين (مجمع اللّغة العربية) ، مطابع دار المعارف، مصر1972، ج1، ط2، ص465.

[2] Voir : J.Grimas, J.Courtes :- Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,Hachette université, PP16-67

فالمرأة والحادث يلعبان دور السّياق ويستدعيان فهما في بعض الأحيان يكون استعاريا (Metaphorique)، والأحيان الأخرى حرفيا (Litterale) للفظ "قاتل"، وفي كل حالة الفهم المختلف لـكلمة "قاتل" يحقق من خلال السياق. [1]

وفي القاموس الموسوعي لعلوم اللّغة لكلٍّ من "ديكرو و تودوروف"[2] نجد نوعا من التّوسّع والإحاطة الكاملة "بلفظ السياق"، حيث يربط الباحثان مصطلح السياق بمقام الخطاب، الذي هو عبارة عن مجموع الملابسات التي يتحدّد في إطارها فعل التلفّظ L'acte d'enonciation سواء كان مكتوبا أو شفويّا، وينبغي أن يفهم حسب"ديكور "على أنّه المحيط الماديّ والاجتماعيّ الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه،

وهو الصّورةالمتبادلة بين المتخاطبين وهو يتهم بالفكرة التي يحملها كلّ واحد عن الآخر ومجموعالأحداث التي تسبق فعل التلفّظ، كما يربط "ديكرو" مصطلح "السياق" بما هو لغويمحض، أي بالوحدات الصّوتية و المعجميّة التي تسبق أو تلحق الملفوظ.

وتكمن أهمية معرفة المقام عند "ديكرو"، لأنّه يكون ضروريا لتحديد :

أ- مرجع التّعابير المستعملة، كالإشاريات Les deictiques :أنا- أنت- هذا- هنا- الآن...

ب-الاختيار بين التّأويلات المختلفة للملفوظ الغامض .

ج- طبيعة الفعل الكلامي المنجز بحكم أنّ طبيعته التلفظية أو قيمته قد تختلف عن طبيعته الواقعية أو المسموعة مثلا: الملفوظ " سنذهب إلى باريس غدا" قد يفهم على أنّه وعد أو خبر أو أمر؛ وذلك بحسب العلاقات الموجودة بين المتكلمين والقيمة المرتبطة بالذهاب إلى باريس .

[1] - Voir : G.Mounin : Dictionnaire de la linguistique, 4eme édition, PUF, France, 2004, P83

[2] Voir : O. Ducrot, T.Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed.Seuil, 1972, PP417-422.

د –الخاصيّة العادية أو غير العادية للملفوظ :حيث يمكن لملفوظ ما أن يكون عاديا في مقامات معيّنة ومتغيّرا في أخرى وبذلك يأخذ قيمة خاصّة.

ويعرفه باتريك شارودو و دومينيك مانغونو : "إن سياق عنصر ما " س" هو مبدئيا كل ما يحيط بهذا العنصر. و عندما تكون س وحدة لغوية (من طبيعة و كم متغيرين: صوتم، صرفم، كلمة، جملة، ملفوظ)، فإن محيط س يكون في الآن نفسه من طبيعة لغوية (المحيط اللغوي) و غير لغوية (السياق المقامي الاجتماعي الثقافي)، و يستعمل لفظ "سياق" بحسب المؤلفين، للإحالة خاصة إما إلى المحيط اللغوي للوحدة و يفضل آخرون تسميته جريا على استعمال بدأ يعم contexte (السياق المقالي)، و إما إلى مقام التخاطب."

وسواء أكان لغويا أم غير لغوي فالسياق يمكن تصوره بطريقة ضيقة (السياق المباشر) أو واسعة (السياق الموسع) مع العلم طبعا أن هذا المحور درجات. ففي ما يتعلق بالسياق الغير لغوي ينتمي إلى السياق الضيق أو (الأصغر)،

مثلا الإطار المكاني الزماني ،و المقام الاجتماعي المحلي الذي ينخرط فيه التبادل التواصلي ، و المشاركون في هذا التبادل(عددهم ،خصائصهم، أو أوضـــــــاعهم و أدوارهم و كذلك العلاقة القائمة بينهم) و نوع النشاط المعني.

بينما ينتمي إلى السياق الواسع (المستوى الأكبر) جملة عناصر السياق المؤسساتي، و تكون صورة السياق آنذاك مثل سلسلة لانهائية من التضمنات: فكما أن الإطار المادي الأقصى هو مجموع العالم المادي، و كذلك الإطار المؤسساتي الأقصى هو العالم الاجتماعي (ويمكن أن نقول نفس الشيء عن السياق المقالي contexte الذي يغطي عن طريق التناص امتدادا خطابيا غير محدود نظريا.) [1]

[1] - ينظر: باتريك شارودو – دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب ، ص 133.

و يتحدث مانغونو عن "السياق" بأنه ليس جهازا يمكن للملاحظ الخارجي الإحاطة به، يجب النظر إليه عبر التصورات (المتباينة في كثير من الأحيان) التي يتصورها المشاركون، فلكي يسلك هؤلاء السلوك المناسب ، يجب عليهم باعتماد مؤشرات متنوعة ، استكشاف نوع الخطاب الذي يندرجون و ينخرطون فيه.[1]

❖ السياق في الدراسات العربية:

كثيرا ما تعلّقت دراسات العرب فيما يخص السّياق، بالبحث عن دلالة "القرآن" حيث نجدهم قد خاضوا كثيرا في كيفية تقسيمهم للدّلالة، فقد قسّم المناطقة مثلا الدّلالة إلى نوعين، دلالة لفظيّة ودلالة غير لفظيّة، وقسّموا الدّلالة اللّفظية إلى وضعيّة وغير وضعيّة، ثم أنّ الدّلالة الوضعيّة تنقسم بدورها إلى دلالة المطابقة والتّضمن والالتزام، وبدورها الدّلالة غير الوضعيّة،تنقسم إلى دلالة طبيعيّة وعقليّة.[2]

كما نجد أيضا تقسيما آخر عند علماء الحنفيّة، ينضبط بما يمكن تسميته "مبدأ القصدية" ومقتضاه، أنّه لا كلام إلاّ مع وجود القصد وصيغته هي"**الأصل في الكلام القصد**"[3] ، ولفظ القصد لا تعني إلا استلزامات القول للصيغة السياقية والمقاميّة، وبهذا فإنّ أتباع الحنفيّة يقسمون أنواع الدّلالات إلى: دلالة العبارة- دلالة الاقتضاء- دلالة الدّلالة- دلالة الإشارة.

أمّا "الآمدي" فقد قسّم الدّلالات التي يحملها سياق الخطاب وتضطلع بإبرازها عناصر لغويّة، إلى ثلاث دلالات،دلالة التّنبيه والإيماء- دلالة المفهوم- دلالة الإشارة، بحيث لايتمّ فهم أي دلالة من هذه الدّلالات إلاّ بتدخّل السياق،ففي تعريف "الآمدي" مثلا لدلالة المخالفة بقوله :"وأما مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللّفظ في محلِّ السكوت

---

[1]- ينظر: دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 29.
[2]- ينظر: محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي"دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993، ص 7.
[3]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1، 1998، ص103.

مخالفا لمدلوله في محلِّ النّطق و يسمى دليل الخطاب أيضا".[1] وهي عمليّة من خلالها نقوم باستخراج دلالة غائبة من دلالة حاضرة، فإذا قلنا مثلا:" اليوم قمت باكرا" دلّ السّياق أنّك بالأمس لم تقم باكرا، و هذا هو مفهوم المخالفة، وما نلاحظه هنا هو قرب هذا المفهوم إلى أهم المفاهيم التي تقوم عليها التّداولية اليوم، ألا وهو الافتراضات المسبقة presupposition.

وأمّا حديث "الجاحظ" عن المعنى، قد وضح فيه مقام المعاني بالنِّسبة للألفاظ ومقامها في ذهن المتكلّم، إذ هي أقدار وأحوال وليست على درجة واحدة من الاستعمال، فما يصلح لهذا المقام والحال قد لا يصلح لمقام وحال آخرين، وعليه فإنّ الجاحظ يقرّ بالدّلالة المقاميّة، ومراعاة المخاطب لأحوال المستمعين، فيقول:" ينبغي للمتكلِّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات."[2]

وهكذا فإنّ المعاني ترتّب وتصنّف بحسب أصناف النّاس في المجتمع وتباين مقامتهم وأحوالهم ضمن السياق.

وفي جانب آخر، فإنّ الإمام "عبد القاهر الجرجاني" يشرح لنا النّظريّة السياقيّة بكلِّ جوانبها، خاصّة في كتابه "دلائل الإعجاز" ولعدم كفاية المقام هنا، وهذا لتشعّب نظريّة النّظم واتساعها وتداخل المفاهيم التي ذكرها الجرجاني فيها- نكتفي فقط بالقول أنّ السياق الكلاميّ عند "الجرجاني" يتميّز بمستويات، كمستوى البنية الإبلاغيّة المتغيّرة حسب المقام، ومستوى البنية النّحويّة، فناقل الخبر يقوم قبلا بترتيب المعاني في نفسه، قبل أن يصرفه إلى المتلقي، كما أنّه يأخذ بعين الاعتبار مقام وحال ذلك المتلقِّي وما يجب اعتباره أثناء عمليّة الإبلاغ يراه الجرجاني في النّظر إلى حال المتكلِّم فيقول في ذلك :

[1]- سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي :الأحكام في أصول الأحكام، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص 69.

[2] - الجاحظ :البيان والتبيين، تقديم :علي أبو ملحم، ، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط2، ط1، 1992، ص81.

"فإن الإعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام والمؤلف له، والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع".[1] وما يمكننا قوله بعد كلِّ هذا، هو أنّ المفسرين للقرآن الكريم، قد فطنوا إلى أنّ المعنى الدّلالي في فهم ظاهر وباطن القرآن الكريم، يعتمد على المعنى المقالي والمعنى المقامي معا، حيث أنّهم كانوا لا يكتفون بمنطق الآيات والأحاديث الشّريفة، بل يتوغّلون في معرفة أسباب النّزول وظروفه الاجتماعية والتّاريخية أي أنّهم يتخطون بذلك المعنى الحرفي إلى المعنى الاجتماعي.

❖ السياق في الدراسات الغربية :

ربط مانغونو السياق بحقل معرفي وهو تحليل الخطاب ذلك أنه يسعى إلى ربط الملفوظات بسياقاتها ، و في أغلب الأحيان ، يحدد تحليل الخطاب بهذه الخصيصة، غير أنه لا يدرس الملفوظات بشكل محايث immanente، لكي يربطها بعد ذلك بالمعايير المختلفة (الخارجية) السياقية : بل على العكس ، يسعى إلى الإحاطة بالخطاب بوصفه نشاطا غير مفصول عن هذا السياق.[2]

و الخطاب نشاط مشروط بالسياق و مغير لذلك السياق في الآن نفسه. و السياق و هو معروض في مفتتح التفاعل يبنى في الوقت نفسه ،و بالطريقة التي يتم بها ذلك التفاعل.[3]

اتسع مفهوم السياق خصوصا في الدراسات التداولية بما أنها تعده أساسا من أسسها المكينة، و لهذا تجاوز الباحثون التعريف النموذجي إلى التعريف الأرحب للسياق، فأصبحت تعرف مجموعة الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام ...، وتسمى هذه الظروف في بعض الأحيان بالسياق context . [4]

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 2005، ص268.
[2]- ينظر : دومينيك مانغونو : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 27.
[3] - ينظر: باتريك شارودو – دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب ، ص 133.
[4]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 41.

"وقد حققت الأعمال التداولية حاليا تراكما من الكتابات تسعى كلها إلى تجاوز الأشكال اللغوية (الأصوات، المعجم ،التركيب، الدلالة) إلى مسألة الاستعمال، و في هذا الإطار يتم الاهتمام بالسياق و أخذه بعين الاعتبار كعنصر أساسي في عملية الإنتاج اللغوي".[1]

تعتمد النظرية السياقية أو يعتمد أصحابها في تحديدهم للدلالات اللغوية على المنهج الذي اشتهرت به الدراسات الفيلولوجية في تحقيقها للنصوص القديمة فيرون أنه يجب لتحديد وحدة لغوية أن نتبع و نستقرئ جميع السياقات التي تحققت فيها.[2]

"و ترجع النظرية السياقية في أساسها إلى اللغوي الانجليزي جون روبرت فيرث ، و بمقتضى النظرية السياقية the contextuel theory فإن المعنى يفسر نفسه باعتباره وظيفة في سياق. و يرى فيرث أن المعنى ينظر إليه على أنه :"علاقات موقفية في سياق الموقف " context of situation" وهو كذلك مركب من العلاقات السياقية. [3]

ويشمل سياق الموقف كل ما يقوله المشاركون في عملية الكلام، وما يسلكونه كما يشكل الخلفية الثقافية بما تتضمنه من سياقات خبرات المشاركين و قد أشار فيرث إلى أن كل إنسان يحمل معه ثقافته و كثيرا من واقعه الاجتماعي حيثما حل.

ويذكر فيرث أن مالينوفسكي Malinoviski أول من استخدم عبارة سياق الموقف بشكل موسع في اللغة الإنجليزية ويرى أنه بالنسبة إلى عمل اللغوي فإن سياق الموقف يتعلق بالآتي:[4]

- السمات المتعلقة بالمشاركين : الأشخاص و الشخصيات
- الحدث اللغوي للمشاركين
- الحدث غير اللغوي للمشاركين
- الأشياء الوثيقة الصلة بالموضوع

[1] - علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري (من البنية إلى القراءة) ، ص 56.
[2]- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، ص 120.
[3]- ينظر: محمد محمد يونس علي ، المعنى و ظلال المعنى ، ص 118.
[4]- المرجع نفسه ، ص 121.

- تأثير الحدث اللغوي.

"ويعني سياق المقام مجموعة من العناصر و الملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي." [1] أو"جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي ، وهي شخصية المتكلم و تكوينها الثقافي ، وشخصيات من شهد الحدث الكلامي ، والعوامل الاجتماعية ، ذات العلاقة باللغة كالمكان."[2] يتحدث ديبوغراند و دريسلر عن السياق عند إدراجهما له في مقومات النص مستعملان مصطلح الموقفية : يمثل مصطلح الموقفية تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص و بين موقف لواقعة ما سواء أكان موقفا حاضرا أو قابلا للاسترجاع، و نادرا ما تتحقق تأثيرات مقام سياقي معين دون حدوث التوسط أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي ،و تتم تغذية النموذج بالقرائن المتيسرة جنبا إلى جنب مع توقعاتنا، ومعرفتنا السابقة بشأن كيفية تنظيم العالم الواقعي. [3]

❖ أنواع السياق :

تعددت تقسيمات السياق عند الباحثين ، وهذا تقسيم فان دايك :

1- السياق التداولي : (النص بوصفه فعلا للسان)

الدراسة التداولية للنصوص تستند إلى تأويل النص بوصفه فعلا للسان أو بوصفه سلسلة من أفعال اللسان ،و نجد أن من أفعال اللسان مثلا الوعود، التهديدات ،الأسئلة، المطالب ،إلى آخره.

[1]- عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء للطباعة و النشر،الإسكندرية ، مصر، ط1، 2007، ص 282.
[2]- مهدي أسعد ، حرارة جدلية اللفظ و المعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1، 2002، ص 39.
[3]- ينظر: روبرت ديبوغراند وولفجانج دريسلر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، ص 209.

ويتكون السياق التداولي من كل العوامل النفسية و الاجتماعية التي تحدد نسقيا لكي تلائم أفعال اللسان و تتمثل هذه الأفعال في المعرفة ، و الرغبات ، و الإرادة ، و التفضيل ، و حكم مستخدمي اللغة و إنجازاتهم الاجتماعية من جهة أخرى (مثل علاقة السلطة ،الصداقة...)[1]

2- السياق الإدراكي: (فهم النص)

يجب على المستمع/القارئ لكي يستطيع أن يستعمل نصا في وضع تواصلي ؛أن يفهم هذا النص، و لكن هذا التأويل لم يزل غير التأويل النظري للقواعد أي إعطاء معنى أو مرجع لتعابير النص.ونستطيع القول بشكل إجمالي إن سيرورة الفهم تعود إلى تحليل المعلومات التي تنقلها البنية الفوقية للنص.

ولفهم النص حدد فان دايك مجموعة من الوقائع التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار: [2]

- يجب على المستعمل لكي يستطيع إنشاء هذه الروابط أن يستدعي معرفته بالعالم ، و قد يعني هذا أنه يجب عليه انطلاقا من مكتسبه المعرفي المخزون في ذاكرته أن يختار قضية أو عدة قضايا ، وأن يقيم رابطا بين قضايا النص.
- يجد الفهم النشط لعناصر النص مكانا في "ذاكرة العمل" ولا يمتلك هذا الفهم إلا قدرة محدودة...، و لقد يعني هذا إذن أنه لكي نفهم نصا ، يجب علينا من جملة طويلة إلى أخرى إنشاء الروابط الضرورية في ذاكرة العمل ثم تحريرها جزئيا من حمولتها، و إدخال معلومات جديدة فيها، و لذا فإننا نرى أن لسيرورة فهم النص سمة دائرية.
- ومن الأهمية الأساسية بالنسبة إلى فهم النص أن تكون الكميات الكبرى جدا من المعلومات التي نستطيع أن نستخلصها من النص منظمة ، و مبنية ، و مختزلة، لهذا السبب تأخذ البنى الكبرى مكانا مركزيا في المعالجة الإدراكية للنص، فالقارئ غير قادر على تكرار النص كلمة كلمة و لا جملة جملة، إن القارئ عمليا

[1]- ينظر: فان دايك ، علم النص ، ص 172.
[2]- المرجع نفسه ، ص 175.

لن يتذكر من قراءته للنص بعد عدة أسابيع سوى المواضيع الأكثر أهمية منه ، و بقول آخر فإن البنية الكبرى للنص بشكل رئيس هي التي تقاوم النسيان إلى حد ما.[1]

3- السياق الاجتماعي النفسي: (هيمنة النصوص)

يشير فان دايك إلى أنه في هذا النوع من السياق يتم الانتقال إلى ميدان علم النفس الاجتماعي و إلى ميدان التواصل الجماهيري ، إذ لم يعد المقصود الآن أن نسأل أنفسنا ما يفعله القارئ أو المستمع الفرد بالنص، ولكن ما هي العوامل الاجتماعية التي تؤدي دورا في الفهم النصي ، و العكس بالعكس أي وجوه الفهم النصي التي تستطيع أن تمتلك استلزامات اجتماعية.[2]

4- السياق الاجتماعي: (النص في التفاعل و التأسيس)

إن أفعال اللسان هي أفعال "اجتماعية" وهي منتجة في سيرورات التفاعل التواصلي ولقد يجد هذا التفاعل مكانا له في المواقف الاجتماعية.وتعد هذه الأوضاع الاجتماعية هي نفسها، وهذا صحيح "فريدة" ولكنها تمتلك مع ذلك عددا كبيرا من المميزات التي لها سمات عمومية أكثر بل حتى تواضعية فهذه الأوضاع في المقام الأول ، هي أوضاع نموذجية، وإنها لتخضع إلى حد ما إلى معايير تعود باستمرار و هكذا فإنه توجد أوضاع ذات طبيعة عامة أو خاصة، مؤسساتية أو غير مؤسساتية، و فيها تأخذ بعض العبارات قيمة فعل اللسان: مثال هذه الأوضاع هي العائلة، والفطور، وفي الشارع ،و في المقهى. و يصنف المشاركون في هذه الأوضاع عموما في فئات ، وذلك من خلال دورهم ووظيفتهم أو مكانتهم.

وبقول آخر فإن بنية الوضع الاجتماعي تحدد أيضا المميزات التي تمتلك النصوص ففي بعض الأوضاع تكون اللباقة ضابطة. وإن استعمال الضمير أنتم و فصائل أخرى من اللباقة تبدو في النتيجة ضرورية في النص.

[1]- فان دايك ، علم النص ، ص 177.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ،ص 180.

وبما أن مصالح المشاركين في الوضع الاجتماعي ليست على الدوام منسجمة و أن المستعمل يرغب مع ذلك أن يكون لعباراته تأثيرا أفضل على محاوره في مقام التواصل أن يكون هذا متأثرا إلى أكثر حد ممكن بمعنى الرغبة الخاصة للمتكلم. [1]

5- السياق الثقافي: (النص بوصفه ظاهرة ثقافية)

إن المحادثة توجد تقريبا في كل الثقافات، ولكن الذي يختلف من ثقافة إلى أخرى هو اللحظة و الأشخاص الذين تكون مثل هذه المحادثة ممكنة بينهم، و إن العلاقات العائلية أو علاقات المجموعة، و العمر ،والجنس،والرتبة،والوضع الاجتماعي،إلى آخره أمور تحدد من سيستطيع أن يقول ماذا، لمن،وفي أي لحظة.

وإن النص بالإضافة إلى كونه مكونا ثقافيا متغيرا للتفاعل الاجتماعي فهو في ذاته ظاهرة ثقافية يمكن للمرء أن يستخلص انطلاقا منها بعض الاستنتاجات حول البنية الاجتماعية للجماعات الثقافية.[2]

ويشيع في التداولية تقسيم آخر و هو :

– **السياق النصي:** وهو سياق القرائن أو ما يسمى بنحو النص.

- **السياق الوجودي:** ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه (عالم الأشياء حالتها ،الأحداث) التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية "ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل والمرسل إليه ، وكذلك موقعهم الزمانى والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي. [3]

- **السياق المقامي :** ونعبر هنا من شيء مادي خالص إلي شيء وسيط ثقافي ويتميز المقام بالاعتراف به اجتماعيا بصفته متضمنا لغاية أو غايات وعلي معنى ملازم تتقاسمه

[1]- ينظر: فان دايك ، علم النص ، ص 185.
[2]- فان دايك ، علم النص ، ص 188.
[3]- ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ،ص42،4 .

الشخصيات المنتمية الى نفس الثقافة [1] .ومن أمثلة السياق المقامي المحادثات الدائرة مثلا بين طبيبين حول حالة مرضية ما إذ مقامهما العلمي هو الذي يحكم التخاطب.

- **سياق الفعل:** تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامى و الأفعال اللغوية أفعالا إرادية إذ يقصد المرسل إنجازها ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد"[2] ،إن هذه العلاقة بين المرسل و المرسل إليه يحكمها تفاعل الأطراف الذي يولد سياقا تواصليا بينها.

- **السياق النفسي:** إن اعتبار الخطاب فعلا و إن الفعل اللغوي قصد مشروط يؤدي إلي دمج الحالات الذهنية ،و النفسية في نظرية تداولية اللغة لتصبح المقاصد و الرغبات حالات ذهنية ، مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل ، هذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف والتفسير التداولي بوصفها السياق النفسي لإنتاج اللغة وفهمها.[3]

وإجمالا ، فهذه الأنواع من السياقات متداخلة و مترابطة ، فلا يستغني أي منها عن الأنواع الأخرى ، و بهذا يصبح المنهج التداولي كافيا، لأنه إلى وجهات نظر معينة و توجه معروف نحو اللغة و العلامات الأخرى.

إن الملاحظ على هذه الأنماط المختلفة التداخل الشديد بينها و صعوبة الفصل بين نمط سياقي و آخر، و لنأخذ على سبيل المثال سياق الفعل؛ إن فهم سياق الفعل و حقيقته أو إذا ما تم التلفظ الجاد أو الدعابة ؛ لا يتم إلا في ضوء السياق الوجودي بعناصره المتنوعة من جهة، ثم من جهة أخرى السياق الوجودي يستدعي السياق المقامي، ولنأخذ هذا المثال: "افتتحت الجلسة" إن سياق الفعل المرتبط بهذه الجملة هو إنجاز فعل ما، لا تتحدد قوته الإنجازية إلا بالعودة إلى السياق الوجودي الذي أطر هذا الانجاز، و السياق الوجودي الذي يتضمن السياق المقامي فالمحكمة مثلا هي المكان الذي خول فيه للقاضي

[1]- علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري، ص 60.
[2]- المرجع نفسه، ص 62.
[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ،ص 44.

التفوه بمثل هذا. ولا يختلف الأمر كثير بالنسبة للسياق النفسي إذ يتعلق بقطب مهم من الأقطاب التواصلية و هو المتكلم الذي له حضور في مختلف الأنماط.

❖ عناصر السياق :

يقتضي السياق عناصرا أولا : عنصر ذاتي وهو معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقدات، و لأيضا مقاصد المتكلم فهو حين يتكلم يقصد شيئا ، و كذلك اهتمامات المتكلم ،فقد تكون له أهداف فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية ... وكلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق، ثم العنصر الموضوعي وهو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية و المكانية ، ثم العنصر الذواتي ، يعني ما بين ذوات المتخاطبين و هو المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.

وبهذا فإنه يتمثل السياق في ما يمكن أن نسميه الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب، من ظروف و ملابسات ، و يعد العنصر الشخصي من أهم عناصر السياق، و يمثله طرفا الخطاب ، المرسل و المرسل إليه، و ما بينهما من علاقة بالإضافة إلى مكان التلفظ وزمانه وما فيه من شخوص و أشياء ،وما يحيط بهما من عوامل .

ومن البين أن أثر هذه العناصر ليس مقتصرا على لحظة التلفظ فقط، بل يمتد إلى ما قبله، وإلى بيان شيء من سمات تلك العناصر و دورها في الخطاب. [1]

1-الأطراف المتخاطبة : "يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي و الآخر فاعل على جهة الإمكان ،أي المتكلم أو المخاطب".2

أ-المخاطِب: وهو مصدر الخطاب المقدم ،إذ يعتبر ركنا حيويا في الدائرة التواصلية اللفظية، فهو الباعث الأول على إنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة وقد

[1] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتجيات الخطاب ،ص 45.
[2] - فان ديك، النص و السياق :استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر:عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، 1991،ص25.

تداول اللسانيون هذا العامل في قوالب اصطلاحية متباينة مثل "الباث" أو "المرسل إليه" أو "الناقل" أو "المتحدث". [1]

أو "المتكلم" أو "الذات المتكلمة" ، و رغم اختلاف التسميات الا أن هذا العاما يعتبر دائما "طرف أول في جهاز التخاطب"[2] ولا يمكن على الإطلاق تصور قيام عملية تواصلية دونه.

عندما يقوم المخاطب بتأليف الرسالة، وتركيبها ، فإن تركيبها يكون على وجه تتداخل في تشكيله عناصر كثيرة ترتبط بشخصيته برابط ما، ومن هذه العناصر تلك الافتراضات المسبقة التي ينطلق منها، هي افتراضات يمكن استنباطها من الرسالة نفسها لأنها تتضمنها بطريقة لا يجد المتلقي صعوبة في إدراكها، وتصدر هذه الافتراضات عن المعلومات التي اكتسبها المتكلم من خلال محيطه الاجتماعي، واجتهاداته الشخصية . ومن أمثلة ذلك : أن قولك لآخر: (ما رقم هاتفك؟) يتضمن افتراضا يفيد أن له هاتفا، وقولك: (كم لك ابن؟) يفترض ن مخاطبك قد تزوج في وقت سابق. [3]

كل متكلم يتناول الكلمة هو إذن مخاطب للسابق ،"والمخاطب بالمعنى العادي هو الشخص الذي يحاور و يناقش و يحادث شخصا آخر وهو بمعنى أدق، يشير، من وجهة نظر المتكلم ،إلى الشخص الذي يمثل معا، في تبادل لغوي شفوي، المرسل إليه من الذات المتكلمة والذي له حق تناول الكلمة بدوره، والإجابة والرد على المتكلم السابق" [4].

[1]- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون) ،منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2007، ص 24.
[2] - عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 137.
[3]- ينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى ، ص 154.
[4]- باتريك شارودو ، دومينيك مانغونو : معجم تحليل الخطاب ، ص 317.

ب- المخاطَب: يكون للمخاطب دور ثان يأتي بعد المخاطب، "ويبرز دوره في وظيفته التي يقوم بها بعد تلقيه الخطاب وهي وظيفة التفكيك، أي تفكيك الرسالة ."[1]

وهي عملية تكميلية لما قام به المخاطِب ، حيث يتعامل المخاطب مع الخطاب بطريقته الخاصة في الفهم، مستعينا في ذلك بثقافته و تجاربه و أحواله الخاصة التي ينفرد بها عن غيره.

" والمرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا، وهذا الشخوص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب، بل يسهم في قدرة المرسل التنويعية. و يمنحه أفقا لممارسة اختيار استراتيجية خطابه". [2]

و يتأسس نجاح العملية التواصلية على مراعاة المتكلم للسامع، إذ "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، و يوازن بينها ، و بين أقدار المستمعين و بين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، و لكل حالة من ذلك مقاما حتى تقسم أقدار المعاني ، على أقدار المقامات ، و أقدار السامعين على أقدار تلك الحالات".3

2- الزمان و المكان:

يعتبر الزمان والمكان من أهم العناصر في بناء تصور عن السياق حيث يؤثران بشكل جلي في خيارات المتكلمين، ويتجلى هذا الجانب المهم في علم اللغة الاجتماعي؛ إذ نجد أن الخيارات اللغوية للمجموعة تخضع لمكان تواجدها، فلغة أهل البدو تختلف عن لغة أهل الحضر ، و يمكن لفئات المجتمع أن تستخدم ألفاظا خاصة تبعا لارتباطهم بأماكن محددة ، فالتجار لهم لغتهم و الأطباء لهم لغتهم و الفلاحون لهم لغتهم و واضح أن هذه الفئات المجتمعية تتحدد لغتها المستخدمة، تبعا لتواجدها الوظيفي في مكان معين كالسوق و المستشفيات و المزارع.

---

[1]- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى ، ص 155.
[2]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 48.
[3]- الجاحظ ، البيان و التبين ، ج1، ص 153.

و يبدو المكان في النص بواحد من طريقين من طرق التعبير اللغوي أحدهما بواسطة الظروف الدالة على المكان (...) و الآخر بواسطة أسماء المواضع الجغرافية، و من الظروف الدالة على المكان : تحت ، فوق ، قرب ، أمام ..." أو بعض الإشاريات من قبيل هنا ، هناك ... الخ و تسمح هذه الاشاريات بتحديد المسافة النفسية ببين المتخاطبين و يمكن أن يتحقق هذا بمعية عناصر لغوية أخرى ، كحروف النداء التي يمكن للمستمع أن يحدد من خلالها العلاقة النفسية بين المتخاطبين أو القرب و البعد المعنوي بينهما.و تتآلف العناصر المكانية مع العناصر الزمانية ؛ التي تتحدد تبعا لمحددات معينة من مثل: الآن ، غدا ، أمس، البارحة ...الخ [1]

3- القناة : تشكل القناة عنصرا بالغ الأهمية في السياق سيما السياق الأدبي ، إذ تؤثر في سير العملية الإبداعية و تخضعها لعناصر تتوافق مع هذه القناة دون تلك ،و تستخدم النصوص الأدبية قناتين:

قناة المشافهة : و يرتبط سياقها بالأداء الذي يتطلب قدرات صوتية معينة كما يمكن من استغلال عناصر إضافية كالإشارات و الإيماءات التي "تعضد إنتاج الكلام و فهمه ، عبر قدر من الحركات الجسمية "[2] و تؤثر هذه القناة في شكل الخطاب طولا و قصرا سيما الخطاب الأدبي لدواعي تداولية إذ أشار القدماء إلى هذا الأمر" فقد سئل أبو عمر بن العلاء هل كانت العرب تطيل؟ فقال:نعم ليسمع منها ،قيل : فهل كانت توجز ؟ قال نعم ليحفظ عنها."[3] و تتيح المشافهة لطرفي الخطاب فرصة تعديل وجهات نظرهم أو مواقفهم تبعا لما يصدر عن أحد الأطراف.

[1]- ينظر: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطَّلحي ، دلالة السياق ، منشورات أم القرى ، مكة المكرمة ، 1423ه ، ط1 ، ص 620، 621.
[2]- المرجع نفسه ،ص 617.
[3]- المرجع نفسه، ص 633.

أما القناة الكتابية :فإنها ترتبط بسياقات أخرى ،إذ تسمح للنص بالانتقال في الزمان والمكان، كما تعطي للقارئ فرصة التبصر في النص من أجل إعادة تشكيل السياق إن أمكن.

4- الرسالة :

يسمح نمط الرسالة بتشكيل رؤية عن السياق ، فإذا كانت الرسالة كلاما عاديا فإن المتخاطبين يفهمانها في هذه الحدود، أما إذا كانت الرسالة عملا شعريا جمالي كالشعر أو الرواية أو غيرهما من الأنماط الأدبية الأخرى ، فإن سياقات مختلفة تتولد تبعا لنمط الرسالة، فسياق النص الشعري و متطلباته غير سياق النص الروائي و هكذا.

لا يوجد اتفاق حول طبيعة مقومات السياق ، فهايمس مثلا يدرج ، بالإضافة إلى المشاركين و المكان و الزمان و الغاية، ونوع الخطاب و القناة واللهجة المستعملة و القواعد التي تحكم التداول على الكلام في صلب جماعة معينة، أما الآخر فيدرج معارف المشاركين حول العالم و معارف بعضهم عن البعض الآخر و المعرفة بالخلفية الثقافية للمجتمع حيث ينتج الخطاب ،في الواقع، تتوقف العوامل المعتمدة في السياق على الإشكالية المطروحة، ومع ذلك، توجد نواة من المقومات مجمع عليها: المشاركون في الخطاب ،الإطار الزمكاني، الغاية، إن المشاركين و الإطار و الغاية تتمفصل بشكل مستقر عبر مؤسسات لغوية محددة بوصفها عقودا للكلام[1]contrats أو أنواع الخطاب. [2]

فيما يتعلق بالمشاركين ، هناك تمييز بين الأفراد الذين يمكن وصفهم اجتماعيا و بيولوجيا بمعزل عن الخطاب، و الأدوار التي يؤدونها في الخطاب : كتاب ، باعة، تلميذ..

بالنسبة للإطار الزمكاني ، هناك تمييز بين الإطار التجريبي العملي و الإطار المؤسساتي المرتبط بنوع الخطاب، ذلك أنه يمكن يحصل الاختلال بين الاثنين : فالمرأب (الإطار

[1] العقد contrat : يستخدم هذا المفهوم للتأكيد على أن المشاركين في التلفظ يجب عليهم أن يقبلوا بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل التخاطب ممكنا، الأمر الذي يستلزم أن يعرف كل واحد حقوقه وواجباته وكذا حقوق وواجبات الآخر. (دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 30)

[2]- ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 28.

العملي/التجريبي) قد يكون المكان الذي يؤدي فيه الطقس الديني (القداس) أو تقام فيه المحاكمة الخ،... و كذلك الحال بالنسبة للسيرورة الزمنية ، أي سيرورة الرزنامة ، فهناك سيرورة زمنية يفترضها الخطاب: يمكن لخطاب أن يلقى موضوعيا في 12 ديسمبر 1921 ولكنه يمكن أن يتجلى في شكل تكريم ، مثل مائوية الكاتب فلوبير.

أما الغاية التي ينشدها المشاركون في الخطاب فتتوقف بطبيعة الحال على نوع الخطاب: شراء سلعة، الدعوة إلى اعتناق دين ما...الخ. [1]

2- التـــــــــــأويل :

إن الحديث عن النص وكيفية انسجامه يقودنا إلى الحديث عن العمل الذي يبذله القارئ لهذا النص، فهو في محاولة لكشف الغموض وفهم أسرار وخبايا رموزه بغية الربط بين عناصره وأجزائه، وهذا ما يستدعي تحديد مفهوم التأويل باعتباره عملية أساسية في انسجام النص .

في البداية تجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح قد تداولته عدة مجالات معرفية كعلم الدلالة ولسانيات النص، السيمياء، البحوث اللاهوتية الغربية، وعلم التفسير والمقاصد عند علماء المسلمين إلا أن الحديث هنا سيتعلق بالخطاب فهو مجال للحديث عن الانسجام في النص. كما أن التأويل "مفهوم قديم قدم النصوص نفسها دينية أو لغوية، وقد بدء محاولات تفسيرها وشرحها من خلال مجموعة القواعد والمعايير التي يتبعها المفسر." 2

إذ يقترن التأويل بما هو باطن خفي، أما الظاهر فيقترون بالتفسير، فمن ذلك نجد التأويل لأحلام والرؤى، كذلك بالنسبة للمحلل لا يمر على الألفاظ والعبارات مرورا سطحيا، بل عليه أن يدرس أعماق ما تحويه من دلالات ومعاني.

[1]- ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 29.
[2] - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، طَ1، 2006، ص 201.

فهو يعني الانتقال من المعنى الظاهر إلى المعنى الخفي، والسعي وراء تحقيق معنى المعنى، فالمراد "بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ." [1]

و لقد شكل مصطلح التأويل عبئا كبيرا على بعض الفلاسفة ، و المفكرين و اللغويين الذين أسسوا له نظريات تبين مدى أهميته وبخاصة أنه يتصل باللغة و الفلسفة، من ذلك نجد بول ريكور الذي ربط التأويل بالنص، وهذا عن طريق القراءة المتعددة و الفهم المختلف، لأن كل قارئ لنص ما يمكن أن يحدد معنى للنص الذي قرأه بخلاف غيره الذي قدم قراءة مغايرة لما قرأه الأول، حيث يقول:"التأويل هو فن تأويل النصوص في سياق مخالف مؤلفيها وجمهورها الأولي، بهدف اكتشاف أبعاد جديدة."[2]

وبالإضافة إلى إشارة العرب إلى علاقة التأويل بالاستعارة، نجد هذا جليا عند الغربيين الذين يؤكدون أن"التأويل الاستعاري يستند إلى المؤولات أي إلى وظائف سيميائية تصف مضمونها وظائف سيميائية." [3]

وفي هذا إشارة إلى أن التأويل يرتبط عند الغربيين بالعلامات السيميائية، وبالسياق الذي يحدد المعنى من خلال الوضع اللغوي والثقافي للمتلقي ،فالتأويل مرتبط بالمرسل و الخطاب.

فتعدد القراءات وتتنوع، وتأتي التأويلات متقاربة تصب كلها في اتجاه واحد، وتختلف من قارئ إلى آخر، وقد يختلف التأويل عند قارئ واحد، وهذا حين قراءته للنص القراءة الأولى يكون له تأويل خاص، أما القراءة الثانية له فتظهر له دلالات أخرى بحيث يتعمق في النص، لذلك يتغير التأويل فهو ليس بقار ثابت، بل متعدد متحرك باستمرار.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج1،ج1، ص 131.

[2]- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) ،دار الطليعة للنشر و الطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

[3]- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترو تقديم :سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 150.

كما أنه قد يعنى "الكشف عن الدلالة الموضوعية في النصوص التي تحتمل أكثر من مدلول، وفي الوقت الذي يبدو فيه التأويل بحثا عن فك الرموز وأسرارها العقيدة، فإنه يعترف بأهمية وجود هامش أو هوامش لتأويل المعنى أو إرجائه".[1]

فالقارئ يتوصل إلى تأويل نسبي غير مطلق، فهو ليس بنهائي يعتمد أو يؤخذ به، بل هناك مجال مفتوح لقراءات متتابعة تحمل تأويلات متباينة، إذ هناك "فهم أولي لمعنى القول، ثم فهم ثان أو تأويل لمعنى القول".[2]

وهذا ما ذكره الجرجاني في تمييزه بين (المعنى) و (معنى المعنى) إذ أن "الكلام عنده على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض."[3]

فالقارئ المحلل يصل إلى هدفه بتأويل لمعنى المعنى، فهو بذلك يكشف الغموض، ويقوم بعمليات محددة وفق مناهج مختلفة مستعينا بالمعلومات الواردة في النص للوصول إلى مبتغاه وتكون مهمته بذلك" توضيح المعاني الكامنة في النص.

وقد تحدث براون و يول عن التأويل باعتباره آلية من آليات الانسجام في مبدأ التأويل المحلي ودوره في الانسجام النصي:

يرتبط هذا المفهوم بما يمكن أن يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق ، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل "الآن"، أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم "محمد" مثلا.

---

[1] - بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر ،ص 202.
[2] - عبد السلام عشير،عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) ، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 132.
[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة، 1980، ص 264- 265.

فبهدف تقييد التأويل يضطر المتلقي إلى العودة الخطابات السابقة. [1]

لإيضاح وظيفة هذا المبدأ يضرب "براون ويول" هذا المثال:

جلس رجل و امرأة في غرفة الجلوس العائلية... سئم الرجل فاتجه إلى النافذة إلى النافذة ونظر إلى الخارج... خرج، و ذهب إلى ناد ، تناول مشروبا و تحدث مع الساقي.

إن المقام الأول للخطاب السابق يحدد امتداد السياق الذي سيؤول فيه المستمع ما يلحق، ومن ثم فهو يفترض، أن ما تمت الإشارة إليه سابقا، أشخاصا و زمانا ومكانا، سيبقى هو هو، ثابتا ما لم يشر المتكلم إلى أي تغيير يمس الأشخاص و الزمان والمكان، وبناءا عليه فإن المتكلم يفترض أن الرجل الذي اتجه إلى النافذة هو نفس الرجل الذي كان جالسا سابقا و أن النافذة التي اتجه نحوها هي نافذة المشار إليها مسبقا... [2]

فمبدأ التأويل المحلي يوقف عملية التأويل و يضمن له بعض السلامة عن طريق تقييد السياق حيث أن الخطاب لا يتضمن غير تلك المؤشرات السياقية التي نمتلكها أثناء تلقي الخطاب، و"لأن التأويل المحلي يقيد تأويلنا و يجعلنا نستبعد التأويل غير المنسجم مع المعلومات الواردة في الخطاب." [3]

3- مبدأ التشابه:

يتحدث براون ويول عن أهمية التجربة السابقة التي تتراكم في ذهن المتلقي و تكسبه قدرات متعددة على لمواجهة النصوص، و تفسيرها و تأويلها.

"من المشروع القول أن كل العمليات المعرفية (...) من الإدراك حتى التفكير ، تعد طرقا يسعى فيها جهد أصيل وراء المعنى إلى التجسد و بتعبير أشمل نقول ان جهدا كهذا مجرد محاولة لربط شيء معطى مع شيء آخر غيره." [4]

---

[1]- ينظر: محمد خطابي، مدخل إلى لسانيات النص ، ص 56.
[2]- ينظرالمرجع نفسه ، ص 56.
[3]- محمد خطابي، مدخل إلى لسانيات النص ، ص 57.
[4]- براون و يول: تحليل الخطاب، ص 61.

فالقارئ عندما يواجه خطابا فإنه يعتمد في معالجته على ما تراكم لديه من معارف سابقة، و"من ضمن ما تزود به التجربة السابقة المتلقي، القدرة على التوقع، أي توقع ما يمكن أن يكون ... أن تراكم التجارب (مواجهة المتلقي للخطابات) و استخلاص الخصائص و المميزات النوعية من الخطابات يقود القارئ إلى الفهم والتأويل بناءا على المعطى النصي الموجود أمامه، ولكن أيضا بناءا الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أي النظر إلى الخطاب الحالي في علاقة مع خطابات سابقة تشبهه، أو بتعبير اصطلاحي، انطلاقا من مبدأ التشابه." [1]

من هذا المنطلق يعتبر مبدأ التشابه أحد الاستكشافات الأساسية التي يتبناها المستمعون و المحللون في تحديد التأويلات في السياق.

4- التغريض:

وهو عنصر من عناصر تحقق الانسجام ويعني "ذلك الجانب من بنية الخطاب الذي يحدد نسبة الأهمية التي تعطى لمقاطع متعددة من الخطاب"[2]

باعتبار أن الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية و نهاية فإن هذا التنظيم يعني الخطية، سيتحكم في تأويل الخطاب، بناءا على ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه ،وهكذا فإن عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، كما أن الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تقيد فقط تأويل الفقرة ، وإنما بقية النص أيضا.[3]

"ومفهومي التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب و أجزائه و بين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، وإن شئنا التوضيح قلنا إن في الخطاب مركز جذب يؤسسه منطلقه و تحوم حوله بقية أجزائه." [4]

---

[1] - محمد خطابي، مدخل إلى لسانيات النص ، ص 58.
[2]- براون و يول: تحليل الخطاب، ص 156 .
[3] - ينظر : المرجع نفسه، ص 59.
[4]- المرجع نفسه ، ص 59.

والعنوان أيضا يتحكم في تغريض الخطاب ، ولكن براون ويول على خلاف الكثير من الباحثين لايعتبران العنوان موضوعا للخطاب وإنما هو: "أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب (...) ووظيفة العنوان هي أنه وسيلة خاصة قوية للتغريض." [1]

وتبرز أهميته كذلك في أنه يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يكونه موضوع الخطاب، بل كثيرا ما يتحكم العنوان في تأويل المتلقي، وكثيرا ما يؤدي كذلك تغيير عنوان نص ما إلى تأويله وفق العنوان الجديد، بمعنى أن القارئ يكيف تأويله مع العنوان الجديد. [2]

مما يدل على أن العنوان يشكل ركيزة أساسية في فهم القارئ لمضمون النص، وبه يتحدد ما سيفهمه القارئ، وعليه ينبني تأويله لما يليه من جمل، وهذا لا يعني أن النصوص الخالية من العناوين لا يمكن للقارئ تحليلها، بل بعد انتهائه من القراءة والتحليل يستطيع أن يضع عنوانا للنص.

فالتغريض مهم جدا، ويجعل المتلقي في حوار مستمر دائم مع النص، ويضمن لهذا الأخير انسجامه وترابط عناصره من بدايته إلى نهايته، فيتمكن المتلقي من قراءته قراءة جيدة، وينتهي إلى تأويل ملائم غير غريب وبعيد عما هو مألوف لدى الدارسين.

[1]- براون و يول: تحليل الخطاب، ص 139.
[2]- محمد خطابي، مدخل إلى لسانيات النص ، ص 60.

الفصل الثاني: التفاعل الخطابي وسياق التخاطب

- **المبحث الأول: التخاطب و العملية التواصلية**
  - **التخاطب**
  - **قوانين الخطاب**
  - **الوظائف اللغوية و التواصل**
- **المبحث الثاني: المقاصد و القراءة التأويلية**
  - **تعريف المقاصد**
  - **المقاصد و التأويل**
  - **سياق التلفظ و تأويل الخطاب**

«قبل النظر في معاني الكلمات، لنتفحصها أولا على أنها أحداث في العالم المحسوس».

برتراند رسل

❖ المبحث الأول: التخاطب و العملية التواصلية:

1- التخاطب:

استمر زمن غير يسير كانت فيه جل التيارات اللغوية و المنطقية لا ترى في العملية اللغوية إلا جانبها التواصلي الذي يقدم معلومات إلى المتلقي، و مع ظهور التداولية تغير الوضع حيث تتناول مظاهر لغوية عديدة بوجهات نظر متنوعة، ولكنها تكاد تتفق على أن اللغة اجتماعية يمارسها أناس يعيشون في مجتمع، وهذه الممارسة خاضعة لقواعد، لذلك نجد مفاهيم مثل: "الفعل" و "العمل" و "التفاعل"، تتردد بكثرة وقد صارت أحدث الدراسات تأخذ بهذا المفهوم. [1]

إن التداولية المذكورة أعلاه يمكن تفريعها إلى تيارين رئيسيين:

1- تيار موريس: الذي يقصد بها "علم علاقات الأدلة بمتداوليها (مستعمليها) واستثمارا لهذا المفهوم فإن كثيرا من الباحثين صنفوا علامات الذاتية في اللغة على ضوئه ، مثل:" بنفنيست، لاينس، أولاريكسيوني" و يكاد هؤلاء يتفقون على تناول البنود التالية:[2]

- المعينات les deixis: وهي الضمائر، و أسماء الإشارة، وأداة التعريف.
- الزمان: الزمان النحوي، (الماضي و المضارع و الأمر)

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992، ص 137.
2 - المرجع نفسه، ص 138.

- المكان: كبعض ظروف المكان : هنا، و هناك أو قرب ، و بعد و أمام و خلف و بعض التعابير المكانية الأخرى، سواء أكانت مكانية بنفسها، أو قامت مقام المكان (السينما، و السوق، و نحو، و اتجاه...)
- الألفاظ العاطفية و القيمية: سواء أكانت أسماء أم صفات ام أفعالا ، فألفاظ مثل: مهرج ، مسلم ، كافر...، و أحب و كره ، و تمنى تدل على عاطفة و حكم قيمة.
- تعابير الجهة: وهي جهة الضرورة و الإمكان، و جهة المعرفة، و جهة الفعل و جهة الكينونة و الظهور.

2- تيار فلاسفة أكسفورد:

اهتم الفلاسفة فيه بدراسة الأفعال الكلامية، و يقوم هذا الاتجاه على فرضية أساسية مؤداها أن الكلام يقصد به تبادل المعلومات ، مع القيام بفعل محكوم بقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، و هذا الفعل يهدف إلى تحويل "وضع المتلقي و تغيير معتقداته و مواقفه السلوكية." [1] وزعماء هذا الاتجاه هم فلاسفة أكسفورد وعلى رأسهم: أوستين و سورل .

ومن بين أطروحاتهم التفرقة بين الأقوال الاخبارية، و الأقوال الانجازية، و القوة التعبيرية أي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا أو حظا... و ما ينتج عنها من تأثير في معتقدات المتلقي و مواقفه و سلوكه ، سواء كان التاثير حقيقيا أو مؤملا . على أنه لا يحصل التأثير بفهم التعبير ، و الاعتراف به من قبل المتلقي، و لذلك فإنه لابد من توافر مفهوم المقصدية ، الذي يعني، في هذا السياق الدلالة و الفهم، "فالدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم ، يعني الاعتراف من قبل المتلقي ، بقصد تواصل المرسل."[2] و لكن "لاينس" ينتقد هذا الشرط فيرى أنه ليس ضروريا ولا كافيا ، و ذلك أن المخاطب يمكن أن يفهم ما يريد أن يقول له المرسل دونما حاجة إلى معرفة المقصدية التي دعت المرسل إلى قول ما قال.

1 - C.K.Orecchioni :l'enonciation de la subjectivité dans la langage. Armand colin . 1980 .
2 - j . lyons .sémantique linguistique. Larousse. Paris. 1980. P.351 .

و أصبح التخاطب أحد أهم القضايا الكبرى التي تهتم بها التداولية، و تحليل الخطاب فالتخاطب هو دراسة علاقة العلامات بمفسريها.(موريس 1938) ثم تم تعميم هذا المفهوم ليعرف على أنه: "علاقة العلامات بمستخدميها". و قد اقترح رودولف كارناب بعد سنة من ذلك التاريخ أن يدعو علم التخاطب بأنه :"حقل البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية، وحالته ، ومحيطه."

وقد عرفه بعضهم بأنه "الدراسة العامة لكيفية تأثير السياق في الطريقة التي نفسر بها الجمل." ويقصد بالسياق في مثل هذه المواضع مفهومه الواسع الذي يشمل- علاوة على ملابسات الموقف- كل ما له تأثير في الحدث اللغوي من عوامل حالية أو ماضوية. [1]

أما في الدراسات الغربية الحديثة فقد كان علم التخاطب هو المجال الذي يعنى بمثل هذا النوع من الدراسة ولذا فإن من مهماته : [2]

- تقديم اشتراطات النجاح لعملية القول the utterance- act ، وبيان الوجه الذي يمكن به أن تكون مثل هذه العملية عنصرا أساسيا في سلسلة التفاعل course of intraction .
- صياغة المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تكفل نجاح القولة.
- كيفية ربط اشتراطات نجاح القولة، و أسس التفاعل الإبلاغي ببنية الخطاب و تفسيره.
- دراسة دور عناصر التخاطب (المخاطِب- المخاطَب- الخطاب و المساق) في التأثير على القولات اللغوية من حيث تفسيرها و تأويلها.

1- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى ، ص 137.
2- المرجع نفسه ، ص 138.

❖ قوانين الخطاب:

وضع بعض الباحثين في التداولية قواعدا أو قوانينا يحاكم على ضوئها نجاح الكلام أو فشله ، وقد أسماها سورل شروط النجاح، و دعاها جرايس قواعد المحادثة، و نعتها ديكرو بقوانين الخطاب. [1]

و هذه القواعد لخصها سورل في أنواع:[2]

1- الشروط التحضيرية: مثل امتلاك الأهلية ،إذ لايمكن، أن يأتمر عقيد في الجيش بأوامر رائد و يمتثل لها و ينفذها، كما أنه غير جائز أن يستأذن الوزير الأول أحد أعوان الخدمة للدخول إلى مكتبه. فسياق الكلام و الاهلية يتضافران لجعل الكلام فعالا و ذا معنى أو يجعلانه لاغيا و غير وارد.

2- شروط الصدق: ومعناه أن لا يقول المتكلم لإلا ما هو مؤمن به، كان لا يسال إلا إذا كان طالب علم، وإذا وعد أنجز، وإذا أمر شخصا ما للقيام بعمل، فإنه يريد منه حقا أن ينجز ذلك العمل ، على أن كلامه إذا حصل فإنه ليس لاغيا، و غير وارد، ولكن يعد تجاوزا و تعديا منه في استعمال أداة اللغة في غير ما أعدت له.

3- الشروط الجوهرية: و يمكن تلخيصها في صدق المقاصد و النوايا كأن لا يقول المتكلم ما يناقض معتقداته و رغباته.

أما ديكرو فقد استخرج قوانين الخطاب من مجرى تحليل ظواهر لسانية متنوعة منها: [3]

- قانوان الاستيعاب: الذي يفرض أن يعطي المتكلم عن الموضوع الذي يتحدث فيه أهم المعلومات التي في حوزته والتي من شأنها أن تهم المرسل إليه.
- قانون كناية التقليل: الذي يحملنا على تأويل ملفوظ باعتباره يقول أكثر مما تقول دلالته الحرفية.

1- ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، ص 140.
2- ينظر: المرجع نفسه، ص 141.
3- باتريك شارودو ،دومينيك مانغونو : معجم تحليل الخطاب، ص 317.

- قانون المنفعة: لا نستطيع أن نكلم غيرنا بصفة مشروعة إلا في ما من شانه أن يهمه.

ونجد إلى جانب هذه الشروط قواعد للمحادثة وضعها "جرايس" و محتوى ما أتى به أن تأويل قول يتعلق بعاملين: معرفة السياق اللغوي و ما فوق اللغوي وفهم معنى الجملة المنطوقة ، على أن أهم مبدأ اتخذه "جرايس" لتفريع مبادئ أخرى هو مبدا التعاون .[1]

حسب هـ ب. قرايس (1979) كل كائن ذي عقل سليم يلتزم عندما يكون معنيا بتبادل تواصلي بمبدأ عام جدا يسمى مبدأ التعاون. ويحدده غرايس كما يلي: "لتكن مساهمتك التحادثية مطابقة لما أنت مطالب به من أجل الهدف المقبول أو الاتجاه المقبول للتبادل الشفاهي الذي تشارك فيه." [2]

وهي قواعد الاستلزام الحواري أو التخاطبي ، "وترجع نشأة البحث فيه إلى محاضرات التي دعا غرايس إلى إلقائها في جامعة هارفارد سنة 1967 ، فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس و الأسس المنهجية التي يقوم عليها، و قد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرة سنة 1975 في بحث بعنوان المنطق و الحوار." [3]

وكانت نقطة البدء عند غرايس ان الناس في حواراتهم قد يقولون ما لا يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، لذلك كل همه كان إيضاح الاختلاف بين ما يقال و بين ما يقصد... فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح و ما يحمله من معنى مضمر، فنشأت عنده فكرة الاستلزام. [4]

1- باتريك شارودو ،دومينيك مانغونو : معجم تحليل الخطاب، ص 141..
2- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص357.
3- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002، ص 32.
4- المرجع نفسه، ص 33.

وقد نظر غرايس إلى الممارسة اللغوية على أنها نشاط عقلي يهدف إلى التعاون ما بين المتخاطبين، لذلك كان لابد من افتراض توجيهات أو قواعد صادرة عن اعتبارات عقلية تتدبر السلوك التخاطبي فتجعله فعالا و ناجحا، هي التوجيهات أو القواعد تسير بمبدأ شامل يطلق عليه اسم [1]:

- مبدأ التعاون (opratise principale) :يقضي بتعاون المتخاطبين في تحقيق الهدف من حوارهم [2]، أو بتعبير آخر يقصد به المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده، مع ضمانة قدرة المرسل إليه على تاويله و فهمه ، و صاغه على النحو الآتي:

- ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه. [3]

وتحت هذا المبدأ تندرج مجموعة من المبادئ ذات بعد اضيق يسميها غرايس "حكم الحديث" mascimes conversationnelles و البعض الآخر يسميها "مسلمات الحديث" [4]. هذه الحكم يجري تصنيفها إلى أربع مقولات مقتبسة عن "كانط" هي مقولات: الكمية، الكيفية،الإضافة و الجملة. [5]

1- **مقولة الكمية [6]:** وهي تخص كمية المعلومات التي يجب توفيرها وتؤدى بالقاعدتين: [7]

1- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني ، مجلة عالم الفكر الألسنية، مجلد 20، ع 3، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر 1989، الكويت، ص 146.
2 - ينظر: طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 103.
3- ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص 96.
4- دومينيك مانغونو ، معجم تحليل الخطاب ، ص 38.
5- عادل فاخوري ، ، الاقتضاء في التداول اللساني ، ص 174.
6- محمد نظيف، الحوار و خصائص التفاعل التواصلي، ص 42.
7- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني ، ص 174.

- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب. [1]

2- **مقولة الكيفية :** و تتعلق بالقاعدة العامة:

- حاول أن تكون مشاركتك صادقة. و تتخصص بقاعدتين هما : [2]
- لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح.
- لا تقل ما ليس عندك دليل عليه. [3]

3- مقولة الإضافة: و ترتبط بعلاقة الخبر بمقتضى الحال[4]. وهي تنفرد بقاعدة واحدة هي: - اجعل مشاركتك ملائمة.

هذه المقولة المجملة تخفي و لاشك كثيرا من المشاكل العويصة، كمعرفة طرق افتتاح الكلام، وأنواع التدخل المناسب ، وتغيير موضوع المحادثة وحسن التخلص و اختتام التخاطب. [5]

4- مقولة الجهة:[6] وهي لاتهتم كسائر القواعد بما هو مقول أو منطوق بل كيفية قوله قوله أو النطق به، قاعدتها العامة : كن واضحا، وعنها تتفرع القواعد:

- لتتجنب الخفاء في التعبير.
- لتتجنب الاشتباه في اللفظ.
- لتتكلم بإيجاز.
- لترتب كلامك. [7]
- إن البحث عن قوانين الخطاب يعني البحث عن إنجاح العملية التواصلية، بحيث كلما احترمت هذه القوانين، كلما استطاع المشاركون الوصول إلى أغراضهم دون

1- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 103.
2- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني ، ص 174.
3- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، ص 34.
4- طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 103.
5- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني ، ص 174.
6- دومينيك مانغونو ،المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 81.
7- - طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 103.

عوائق[1]. لكن هذا لا يعني أن يتبعوا القواعد المذكورة حرفيا في كل الأحوال فقلما يستمر التخاطب العادي على هذا المنوال.

وإن تم حذف هذه القواعد الأربعة، حينها يحدث الاستلزام الحواري ، فقد تكون الإجابة غير ملائمة للسؤال مما يؤدي بالمخاطب إلى محاولة فهم مقصد المخاطب و تأويل إجابته، ولأجل ذلك يقترح غرايس تنميطا للعبارات اللغوية يقوم على أساس المقابلات التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة و أخرى ضمنية:

1- المعاني الصريحة: وهي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل ما يلي :

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموم إلى بعضها بعض في علاقة إسناد.

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية ما: كالاستفهام ، الأمر، النهي ،التوكيد، النداء...

2- المعاني الضمنية: هي المعاني التي يتدخل السياق في تحديدها وتوجيهها و تشمل :

أ- معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا و تلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل: معنى الاقتضاء و الالتزام المنطقي.

ب-معاني حوارية : وهي التي تولد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة، مثل الدلالة الاستلزامية [2] و يسميها غرايس بالاستلزام الحواري الخاص و الاستلزام الحواري العام للمعاني.

1- حمو الحاج ذهبية، قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، ص 224.
2- ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب، ص 34- 35.

لكن هذه القواعد التي صاغها غرايس قد أخذت وجهة أخرى مع "روبين لاكوف"، إذ ردت أصول نجاح العملية التخاطبية إلى مبدأ واحد هو "مبدأ التأدب"[1]، الذي صاغته في مقال لها تحت عنوان منطق التأدب. وتدعو من خلاله إلى توسيع مبادئ اللغة الكلية، من خلال إدراج القواعد التداولية للحكم بجودة صياغة الخطاب من عدمه، فتضع قاعدتين تسميهما قواعد الكفاءة التداولية ويبدو أنهما متلازمان ، وقد صاغتها كالتالي:

- كن واضحا.
- كن مؤدبا.

على الرغم من أن قاعدة التأدب أكثر حضورا من قاعدة الوضوح ، إلا أن الهدف من الحوار هو التواصل المباشر وهذا ما جعل المقصد واضحا قد فرعت "لاكوف" ثلاث قواعد عن "مبدأ التأدب" سمتها قواعد تهذيب الخطاب إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقا لواحد منها أو أكثر وهي : [2]

- قاعدة التعفف:

- لا تفرض نفسك على المرسل إليه، أي لتبق متحفظا.

- لا تتطفل على شؤون الآخرين.

- قاعدة التحيز: وهي
- لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه.
- دع خياراته مفتوحة.
- قاعدة التودد: وهي

1- شتر رحيمة ، التداولية و آفاق التحليل ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع2- جوان 2008، ص11.
2- المرجع نفسه، ص 99- 100.

- لتظهر الود إلى المرسل إليه، أي كن صديقا.[1]

لكن من خلال هذه المبادئ أهملت لاكوف الأثر الذي يظهر في العمل من خلال هذه المبادئ، لكن يظهر هذا الأثر في المبدأ الذي صاغه براون وليفنسن في دراستهما المشتركة "الكليات في الاستعمال اللغوي ،ظاهرة التأدب "، و يسمى هذا المبدأ بمبدأ التواجه و اعتبار العمل الذي يقوم به عنصرين هما الوجه و الخطة.

- **الوجه:** هي المقاصد التي يسعى طرفا التخاطب إلى تحقيقها (رغبات دفع الاعتراض و رغبات جلب الاعتراف)
- **الخطة:** هي المسار المناسب أو المسلك الذي يختاره طرفا عملية التخاطب لتنفيذ المقاصد ،فيحتاج المتخاطبان الاستدلال بالمقاصد (الوجه الدافع و الوجه الجالب) على الوسائل الكفيلة بتحقيقها (الخطط التخاطبية) ،كما يحتاج إلى الموازنة بين مختلف الوسائل التي يتخير أفضلها تحديدا لهذه المقاصد.

ويقوم هذا المبدأ على الصيغة: لتصن وجه غيرك ، ويقوم على مفهومين أساسيين هما: مفهوم الوجه، ومفهوم التهديد فالوجه فيه وجه سالب ووجه جالب. أما التهديد فيحدث في الأقوال التي تنزل في التداولية منزلة الأفعال، إذ تهدد إرادة المتكلم أو المخاطب[2].

وتظهر قيمة مبدأ التواجه في أخذه بمبدأ التعاون و التأدب فأخذ عنصر التهذيب و عنصر التبليغ. [3]

أما "ليتش Leech" فقد ذهب إلى وضع مقارنة بين مبادئ غرايس و بين ما سماه مبادئ التأدب الأقصى الذي سعى من خلاله إلى تحقيق التقارب بين المتخاطبين، ويعد مكملا للمبادئ السابقة، ويصور هذا المبدأ في صورتين:

- صورة سلبية: هي قلل من الكلام غير المؤدب.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص101.
2- طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان و التكوين العقلي، ص 242- 243.
3- المرجع نفسه، ص 245.

➢ صورة إيجابية: هي أكثر من الكلام المؤدب.[1]

وقد وضعه للتفريق بين التواصل المحمود و التواصل المذموم فالمحمود يعمل بمبدأ الأدب الذي يراقب نسق القواعد المتضمن لقيود فرعية ثنائية ، وقاعدته : كن مؤدبا، و يندرج تحته:

- قاعدة اللباقة: اجتلب النفع و ادفع الضرر.
  - قلل خسارة الغير.
  - أكثر ربح الغير.[2]
- قاعدة الكرم: اجتنب النفع و ادفع الضرر
  - قلل ربح النفس.
  - أكثر خسارة النفس.
- قاعدة الاستحسان: رم الإنصاف و احترز الاستصغار
  - قلل ذم الغير.
  - أكثر الثناء على الغير.
- قاعدة التواضع: رم الإنصاف و احترز الاستصغار
  - قلل الثناء على النفس.
  - أكثر ذم النفس.
- قاعدة الاتفاق: اطلب الحق و اجتنب التعصب
  - قلل الخلاف بين النفس و الغير.
  - أكثر التعارض بين النفس و الغير.
- قاعدة التعاطف:

1- شيتر رحيمة ، التداولية و آفاق التحليل ، ص 11.
2- أحمد العاقد ، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص43.

- قلل التعارض بين النفس و الغير.
- أكثر التعارض بين النفس و الغير.[1]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن مبدأ التعاون و مبدأ الأدب يتفاعلان ضرورة في تحصيل الممارسة الحقة و لانسجام الفعلي لمكونات معظم أشكال التواصل الإنساني.

❖ الوظائف اللغوية و التواصل:

من ضمن القضايا الجوهرية التي تم الاهتمام بها في مجال تحليل الخطاب "الوظيفة التواصلية للغة" و التي تقتضي وجود طرفين أساسيين هما: المتكلم و المخاطب.

وقد ميز سوسيرf.de.saussure بين نوعين من الوظائف اللغوية :

- وظيفة جوهرية: وقد وجدت اللغة لتحقيقها، وهي التواصل.

- وظيفة عرضية: كالتمثيل و الاستدلال و الحجاج...

واعتبر سوسير التواصل اللفظي حدثا اجتماعيا يتم بواسطة الفعل الكلامي، و يتحقق ذلك عبر دائرة الكلام التي تفرض على الأقل وجود شخصين يتم بينهما التواصل.

اللغة نظام من الإشارات، ولكنها أيضا أداة تستخدم لنقل الأفكار بين المتكلمين و عملية نقل الأفكار بين هذين المتكلمين. تحقيقا للشرط الاجتماعي الإنساني، هي ما يسمى عند علماء اللغة: الإيصال.

وإذا تأملنا هذه العملية فإننا نرى أنها تربط بين طرفين: بين اللغة نظاما، و الإيصال هدفا للمتكلمين و يكون ذلك ضمن علاقة تمثل فيها اللغة أداة الإيصال، و يمثل الإيصال فيها وظيفة اللغة. [2]

1- أحمد العاقد ، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة ، ص 43.
2- ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية و تحليل الخطاب، ص 55.

وقد تعدى جاكبسون الإطار اللغوي المحض للتواصل إلى الاهتمام بمختلف الأنظمة السيميائية للتواصل البشري ، وحدد العناصر المكونة لكل فعل تواصلي لساني في ستة عناصر: المرسل – المرسل إليه- الإرسالية- السياق- الشفرة- الصلة(القناة) .[1]

ومثل لها كما يلي:[2]

Contexte

سياق

Message

مرسل..... إرســـــاليـــة ..... مرسل إليه

destinateur صلة destinataire

Contact

شفرة

Code

ولكل عنصر وظيفة معينة:

- **الوظيفة الإنفعالية أو التعبيرية (F.emotive)** وتركز في عملية التواصل على انفعالات المرسل و أشواقه و أحلامه.
- **الوظيفة الطلبية (F.conative)** و تظهر في الإرساليات التي تتوجه مباشرة إلى المرسل إليه قصد إثارة انتباهه أو طلب قيامه بعمل ما.

1 - علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، ص 93.
2- المرجع نفسه ، ص 94.

- **الوظيفة المرجعية (F.référentille)** و يتم فيها التركيز على السياق التواصلي أو على نقل معارف و حقائق ...وهي الوظيفة المهيمنة في التواصل اليومي.
- **الوظيفة التنبيهية (F.phatique)** و تركز على القناة المستعملة في التواصل ... و تظهر في العبارات التي تهدف الى إقامة التواصل أو الحفاظ عليه أو إطالته.
- **الوظيفة اللغوية الواصفة (F.méta-linguistique)** حيث يتم التركيز على الصفة المستعملة في التواصل اللساني بوصفها و تحليلها و استخراج القوانين المنظمة لها ، وتبدو واضحة في عبارات المناطقة و اللغويين والنحاة و البلاغيين.
- **الوظيفة الشعرية (F.poétique)** و يكون التركيز في عملية التواصل على الإرسالية ،و اتقان صياغتها و اختيار علاماتها و توزيعها بشكل مقصود. [1]

و قد انتقد هذا النموذج التواصلي من باحثين متعددين ، كما تم اختزال الوظائف اللغوية عند "براون و يول" في وظيفتين: [2]

- **وظيفة نقلية:** فإحدى الوظائف التي تقوم بها اللغة هي نقل المعلومات أو تناقلها بين الأفراد و الجماعات.
- **وظيفة تفاعلية:** أي قيام شكل من أشكال التفاعل اللغوي بين فردين أو بين مجموع أفراد عشيرة لغوية ، لتأسيس و تعزيز العلاقات الاجتماعية و الحفاظ عليها.

1 - علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، ص 95.
2 - ينظر ، براون ويول ، تحليل الخطاب ، ص 1-2.

"و التفاعل هو من المصطلحات الأساسية في تحليل الخطاب، إذا أردنا الدقة ، يجب علينا التمييز بين التفاعل و التفاعل اللغوي، لأن كل اتصال /تبليغ بين شحصين ليس بالضرورة اتصالا لغويا ، ولكن في الغالب الأعم ،في تحليل الخطاب، التفاعل اللغوي بين مشاركين أو متفاعلين، ولكي يحصل التفاعل حقا ،وليس مجرد حضور لأناس يتكلمون، لابد من توافر عدد من الشروط : يجب على المتكلمين قبول حد أدنى من المعايير المشتركة و النخراط في التبادل والاضطلاع بالمشاركة بإنتاج دلائل تسمح باستمراره" .[1]

و التفاعل ذلك المسار للتأثيرات المتبادلة التي يمارسها المشاركون في التبادل التواصلي أو المتفاعلون بعضهم على بعض... و فيما يخص مجموع العلوم الأنسانية والاجتماعية صار التفاعل اليوم موضوع دراسة في مختلف المدارس و الاختصاصات الفرعية التي تلتقي لتكون ما يمكن أن نسميه "مجرة تفاعلية" .

وفي اشتغال التواصلات الإنسانية التي هي أبعد من أن تنحصر في تبادل معلومات "صرف" و بصفة أعم فالخطابات من هذا المنظور تتصور باعتبارها بناءات جماعية يمكن لكل مكوناتها أن تكون موضوعا للتفاوض بين المتفاعلين .

"والأطراف المشاركين في التفاعل يمكن تشبيههم كما يقول لنا ي،وينكين، بمؤدي توزيع موسيقي: لكن لا يوجد في هذه الجوقة الثقافية الواسعة لا رئيس ولا توزيع، فكل واحد يؤدي دوره بالتطابق مع الآخر،والملاحظ الخارجي وحده ،أي الباحث في التواصل هو الذي يضع بصفة تدريجية التوزيع الذي ينكشف بالغ التعقيد".[2]

كما أن المشاركين في التفاعل/التخاطب يمكنهم أن يكونوا أكثر من اثنين، كما أن دورهم يمكن أن دورهم يمكنه أن يتغير.3 حيث يتبادلون الأدوار التخاطبية فيكون كل منهم مخاطِبا متى بدأ خطابا، و يأخذ الآخرون دور المخاطَب وهلم جرا.

1- دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 74
2- باتريك شارودو ، دومينيك مانغونو : معجم تحليل الخطاب ، ص 309.
3- ينظر: دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 13.

وأثناء التفاعل تسمح "قرائن السياق" للمشاركين في التفاعل بالتعرف أو استكشاف سياق هذا التفاعل، و تحديد مع من يتكلمون و في أي نوع من الخطاب سيكونون أو هم مندرجون فيه ، إن لبعض القرائن حضورا جما : ديكور التفاعل (كنيسة ،بلاتو تلفزة...) والجنس و السن و الحركات واللباس (بدلة عسكرية، أسمال، بدلة أنيقة...)، غير ان الأمر قد يتعلق كذلك بصفات لغوية (معجمية ،صوتية ، صرفية ، تركيبية ، تداولية) التي تشير إلى جهة أصلية والزمرة الاجتماعية...الخ، إن التأويل الجيد لهذه القرائن هو وحده الذي يخول للأفراد إمكانية التصرف المناسب في التفاعلات، بيد أنه في أغلب الأحيان، لا يحصل هذا التأويل بشكل بديهي ودفعة واحدة، بل يأخذ في البناء و أحيانا يتم عبر تعديلات متتالية. [1]

يربط بين المشاركين "عقد" contrat حيث يجب عليهم أن يقبلوا بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل الخطاب ممكننا و عددا من القواعد التي تسيره، الأمر الذي يستلزم أن يعرف كل واحد حقوقه وواجباته و كذا حقوق وواجبات الآخر. [2]

ويفترض أنه بواسطة العقد يتم التواصل بنظام و اتفاق،" إن مفهوم العقد يفترض مسبقا أن الأفراد المنتمين لنفس السلك أو الممارسات الاجتماعية قادرون على الاتفاق حول التصورات اللغوية لهذه الممارسات الاجتماعية ." [3]

المبحث الثاني: المقاصد و القراءة التأويلية:

1- تعريف المقاصد:

تعد المقاصد من أهم العوامل التي تؤثر في استعمال اللغة و تأويلها كما تؤثر بدورها في توجيه المرسل إلى اختيار استراتيجية الخطاب ،و يعبر المرسل عن مقاصده في الخطاب من خلال اللغة إذ: "أن اللغة تحيل عليه لتحديد معنى الخطاب لذلك احتج "صاحب المغني" على أن القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه معتمدا على ملاحظة أن

1- ينظر: : دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 73.
2 - ينظر: المرجع نفسه ، ص 30.
3- المرجع نفسه ، ص 30.

الكلام في الشاهد يكون أمارة لما يريده المتكلم بحيث يكون دليلا على مقصود المتكلم و على ان المتكلم أراد أن يبلغ مراده بمقصوده." [1]

وقد تعددت مفاهيم القصد في مختلف الدراسات النظرية سواء العربية منها أو الغربية، فقد أورد الشهري مثلا أن القصد يدل على أحد أمور ثلاثة: دال على الإرادة، دال على المعنى، دال على هدف الخطاب وهي المفاهيم العامة للقصد. [2]

يحيلنا القصد إذا، إلى ذلك المبدأ الذي صاغه "طه عبد الرحمان" من التراث العربي الإسلامي و الذي سماه: مبدأ التصديق وهو كما صاغه: "لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك." [3]

فجعل هذا المبدأ مبدأ تتفرع منه عدة قواعد أهمها قاعدة القصد وهي: " لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير، و يترتب عن هذه القاعدة أمران أساسيان: أحدهما وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة ، والآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول."[4]

ومن أجل توضيح آخر لمفهوم القصد و بناءا على أحد المفاهيم السابقة له فإن هناك من الباحثين من يرى ضرورة حصول قصد المرسل في الخطاب بمفهوم الإرادة، وهناك من يذهب إلى حصر مفهوم القصد في المعنى.

إذ تنبني على المفهوم الأول عملية الفهم و الإفهام ، لأن الخطاب عملية تتم بين طرفين هما المرسل و المتلقي ، لذلك فماهية القصد " كامنة في كونه ينبني على قصدين أحدهما يتعلق بالتوجه إلى الغير، و الثاني يتصل بإفهام هذا الغير، أما القصد الأول فمقتضاه أن المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهه إلى غيره، و مالم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعد متكلما حقا حتى لو صادق ما

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 182.
2- ينظر: المرجع نفسه، ص 216.
3- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان، ص 250.
4- المرجع نفسه: ص 250.

تلفظ به فهما ممن التقطه، لأن المتلفظ لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد أفهم ما فُهم... و إذا تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بالكلام على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد التوجيه بمنطوقه إلى الغير و لقصد إفهامه بهذا المنطوق معنى ما، فاعرف أن المنطوق به الذي يكون كلاما هو الذي ينهض بتمام المقتضيات التواصلية الواجبة في حق ما يسمى خطابا." [1]

يرى "عبد الهادي بن ظافر الشهري" أن هناك من يعتبر المقاصد هي المعاني نفسها أو المعاني هي المقصودة و منها: "أن الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم بناءا على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني و إنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو الوسيلة إلى تحصيل المعنى المراد ، و المعنى هو المقصود." [2]

وعموما فإنه لإدراك معنى العبارة أو معنى الخطاب ككل، يتوجب بوجه عام الوصول إلى فحوى العبارة ذاتها من جهة، وإلى قصد المرسل من جهة أخرى .أما عملية التأويل ، فتتم بشكل ناجح عندما تحصل المماثلة بين فهم المتلقي ،دلالة العبارة وقصد المتكلم.

وتتفاوت المعاني من حيث علاقة القصد بدلالة الخطاب الحرفية ، بالرغم من قدرة المرسل على التعبير عن مقاصده في أي مستوى من مستويات اللغة. لكن يبدو أن معرفة اللغة بأنظمتها المعروفة وحدها لا تغني عن المرسل إليه في معرفة قصد المرسل بمعزل عن السياق، لأن مدار الأمر ينصب حول ماذا يعني المرسل بخطابه، وليس ماذا تعنيه اللغة حتى ولو كان الخطاب واضحا في لغته لأن معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه سواء أكان قصدا موضعيا أو إجماليا.

وقد كان القصد مدار بحث متواصل عند البلاغيين سواء في القديم أو في الحديث ، منها ما أورده الجاحظ في حديثه عن المقاصد: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني .

1- طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان، ص 214- 215.
2- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 195.

ويوازن بينها و بين المستمعين و بين أقدار الحالات... حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني و يقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات. وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات." [1]

و"تتميز اللغة الطبيعية، كمادة وكشكل للدلالة، المنبثقة عبر النصوص، بالقصدية أو المقصدية، لكن هذه المقصدية تختلف من باحث لآخر، فهناك من يجعلها مقتصرة على المتكلم دون المخاطَب ،وهناك من يجعلها سابقة على كل فعل الكتابة ، أو التلفظ كغريماس، ومن يجعلها ميكانيكية موجهة كأوستين وغرايس وسورل. " 2

"غير أن المقصدية تشمل كلا من المخاطِب و المخاطَب، لكنهما قد تتفقان وقد تختلفان ، ولعل ما قد يكون سببا في هذا الاختلاف هو بروز مقصدية ثالثة، هي مقصدية النص، أو الأحرى لغة النص، التي قد تتجاوز مقاصد صانع النص نفسه."[3]

وهذه حكاية طريفة تثبت أن مقاصد النص ومؤوله قد تتجاوز مقاصد الكاتب نفسه:

"يحكى أن الشاعر أبا نواس مر يوما على حلقة درس، يتدارسون فيها شعره، فسمع الشيخ يشرح ويفسر لتلاميذه بيتا من أبياته الشهيرة، يقول فيه:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

فقال الشيخ شارحا البيت: إن الشاعر أبصر الخمر فانتشت حاسة التبصر، وشمها فانتشت حاسة الشم ، وتذوقها فانتشت حاسة الذوق ، ولمسها فانتشت حاسة اللمس، وبهذا

1- الجاحظ، البيان و التبيين ، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ،بيروت ، د ت ، ص 138 – 139.
2 - محمد مفتاح، دينامية النص ، تنظير و إنجاز، المركز الثقافي العربي ، ط2، 1990، الدار البيضاء، ص 38.
3 حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، ص 185.

بقيت حاسة السمع محرومة من النشوة ، فقال الشاعر : وقل لي هي الخمر، وبهذا القول انضمت حاسة السمع إلى بقية الحواس المنتشية.

وتقول الرواية أن أبا نواس -منتشيا بهذا التفسير- دخل على ناقدنا فقبل يده و رأسه وقال له: بأبي أنت وأمي . فهمت من شعري ما لم أفهم". [1]

وهذه الحادثة لا تترك مجالا للشك في أن للقارئ مقاصده الخاصة ، التي قد تتجاوز مقاصد الكاتب نفسه، وتدفعه إلى تأويل ما يشاء فيه، لكن السياق يحد تلك التأويلات و يقدم إمكانية حيازة المقاصد الحقيقية للكاتب.

2 – المقاصد و التأويل :

يفترض "هيرش" أن معرفة مقاصد المؤلف هي التي تحدد معنى النص، لأن المقاصد هي المميز الملائم ، وعليه، فإن بذل أي مجهود لمعرفة مقاصد المؤلف هو خطوة في سبيل الوصول إلى تأويل موضوعي، يحد من باب التأويلات. [2]

وقد عرف الباحثون أهمية المقاصد في الخطاب ،وتمثل ذلك عند كثير منهم في شتى العلوم التي تتعلق بلغة الخطاب، سواء أكان ذلك في القديم أو في الحديث، انطلاقا من أن المقاصد هي لب العملية التواصلية لأنه : "لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات." [3]

والمعاني الاستعارية خير مثال على أهمية السياق في التأويل حيث أن "الاستعارة هي تجربة تفاعل بين الذات والأنا/الكاتب، المتضمنة بالضرورة للأنت/المتلقي ، و المقيدة بالأنا و الهنا (الظروف الزمانية والمكانية للخطاب)، كوقائع تضمن و تكشف عن

1 - عبد الله محمد الغذامي ، رحلة المعنى: من بطن الشاعر إلى بطن القارئ ، فكر ونقد ، العدد 17، السنة الثانية، مارس 1999، دار النشر المغربية ، ص 122.
2- جيرار دولودال ، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، تر: عبد الرحمان بوعلي، طبعة المعارف الجديدة، طَ، 1994، ص25.
3- ينظر: محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبوقال للنشر، الطبعة الأولى ، 1990، الدار البيضاء ، ص 105.

سيرورة الوقائع التاريخية والثقافية ، المرصودة للنص المحاكي لهذه السيرورة، وفهم مقاصد المؤلف والوصول إلى غائية القراءة ، تتعلق بالضرورة بمدى إلمامنا بهذه العناصر".[1]

والجدير بالذكر أن النص ينطلق من الواقع، ليصور وفق لغته الخاصة، ووفق تفاعل بين هذا الواقع وبين الذات، كمحاولة لتغيير هذا الواقع ، و بالتالي نكون أمام تأثر للذات بالواقع، وتأثير فيه، وفق علاقة تبادلية، ومهما غاص الكاتب في عوالم اللغة التخييلية، فمنطلقه من الواقع ومرده إليه ، يبقى أن يؤول علامات الواقع كيفما يشاء، ليصل إلى قراءة مختلفة لهذا الواقع، وفق آليات تأويل ذاتية. [2]

والخطاب الاستعاري هو مجال الإبداع، الذي يهز كيان اللغة أو اللسان الثابت والنهائي، فيضفي على الوحدات اللسانية قيما جديدة، تضاف إلى قيمتها الثابتة، وهذه القيم و الدلالات الجديدة هي قيم ذاتية، لأنها تتعلق باستعمال فردي للغة، مرتبطة بنيات الكاتب الشخصية. [3]

والحقيقة أن مقصدية كل من المؤلف والقارئ، قد تنتفي أمام مقصدية البنية النصية أو ذلك الوسيط اللغوي الرمزي، بين المخاطِب و المخاطَب، باعتبار أن الاستعارة تصدر عن لاوعي الكاتب، أما القارئ فقد تنتفي مقصديته عندما يتوقف في حدود الحرفي و الظاهر، عندما يتمادى في تأويله متجاوزا مقاصد الكاتب. [4]

إن العملية التواصلية القصدية تفترض طرفين إنسانيين: مرسل ، ومتلق، و المقاصد أنواع، أولي يتجلى في المعتقدات و الرغبات التي تكون لدى المتكلم ، وثانوي يكون فيما

1 - حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب، ص 198.
2 - المرجع نفسه،، ص 198.
3 - المرجع نفسه، ص 200.
4 - ينظر ، حسين خالفي، البلاغة وتحليل الخطاب ، ص 202.

يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما. [1]

ولأن دلالة الخطاب اللغوي تتعدد حسب تعدد سياقات التلفظ، فقد لا يكون ذو دلالة مستقرة دوما.

لنتأمل الخطاب التالي الذي يتخذ شكل سؤال يطرحه الأستاذ على تلاميذه:

- أتود أن تكتب الدرس؟

إذ يبدو لأول وهلة أن هذا السؤال مطروح لمعرفة رغبة الطالب في كتابة الدرس أو استشارته وذلك حسب ما يقتضيه المعنى المعجمي للفعل "توَّدُ" وبالرغم من بداهة ذلك، إلا أنه قد يستعمل هذا السؤال للدلالة على مقاصد كثيرة منها دعوة الطالب إلى كتابة الدرس أو أمره بطريقة مؤدبة، كما قد يخرج كذلك إلى الدعابة و المزاح ،بل وإلى السخرية في بعض السياقات.

كل هذه المقاصد كانت مبنية في أساسها على الخطاب اللغوي أولا، ثم على معرفة عناصر السياق الذي أنجز فيه الأستاذ هذا الخطاب، التي سيوظفها التلميذ كذلك في فهم المقاصد التي يريد أستاذه أن يبلغه إياها، وكذلك فهم التأثير الذي يريد أن يحققه.[2]

إذا يرتكز دور المقاصد بوجه عام، على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، و تكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السياق بمجمله ، فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره.

1- ينظر، محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1985، ص 164.
2- ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 78.

"إذا أخذنا في اعتبارنا هوية المتكلم ومقصده، والوضعية التي هو عليها، نرى بأن المعنى يتعدل و يتدقق و يغتني. من هنا نتجاوز المعنى الحرفي إلى معنى أكثر اكتمالية، يسمح بإمكانية تحديد الحقيقة. "[1]

وغاية قصد المرسل هي إفهام المرسل إليه، ويشترط ليعبر المرسل عن القصد الذي يوصل إليه أن يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة ،ومنها المستوى الدلالي، وذلك بمعرفته بالعلاقة بين الدوال و المدلولات ،وكذلك بمعرفته بقواعد تركيبها وسياقات استعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تنظم إنتاج الخطاب بها. [2]

فحين يخاطب المرسل مخاطَبا بقوله:

- أنت حصان ، وأنت جمل، وأنت أسد.
- ماهذه الأسماء؟ أنا لست حيوانا، لماذا تخاطبني هكذا؟
- يا أخي لا تغضب؛ أقصد أنك: رجل قوي، شديد التحمل و شجاع.

فالمتبادر إلى ذهن المرسل إليه أن المرسل قد استعمل الدوال السابقة بوصفها دوالا على ذوات تنتمي إلى جنس الحيوانات، وهذا التأويل مستفاد من المواضعة اللغوية، ولم يدرك أن المرسل قد عمد إلى تفكيك العلاقات بين هذه الدوال و مدلولاتها المتعارف عليها، وأوجد علاقة أخرى هي العلاقة المجازية، لتدل على خصائص متعددة في ذات المرسل إليه، ولولا توظيف القصد لكان تأويل المرسل إليه صحيحا. [3]

فالناس عادة يثيرون في مخاطباتهم تساؤلات على سبيل: ماذا تقصد بخطابك؟ ماذا يعني كلامك؟ وتجنبا لمثل هذه التساؤلات ، يعمد طرفا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ و المفاهيم و العبارات مسبقا، فالخطاب اللغوي ينطوي على مقاصد المتكلم وهذا ما يجعل معنى الخطاب يتعدد بتعدد السياقات التي ينتج فيها.

1 فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص 19.
2 ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 183.
3 ينظر، المرجع نفسه، ص 184.

كما أن للقصد دور في تحديد المعنى ، وهو الموجود عند بعض علماء الأصول، يشير إلى ذلك طه عبد الرحمان: "وينضبط هذا التقسيم بما يمكن أن نسميه بمبدأ القصدية، ومقتضاه أنه لا كلام إلا مع وجود القصد، وصيغته هي: الأصل في الكلام القصد، ومعلوم أن القصد من القول هو الذي يورث مستلزمات الصبغة السياقية أو المقامية. " [1] إذ لابد أن يكون قصد المرسل حاضرا في خطابه، وهو ما يبينه السياق.

والعناية بالقصد هو صلب نظرية "جرايس" عندما افترض أن هناك مبدأ عاما يؤسس لتفاعل طرفي الخطاب تفاعلا ناجحا و هو مبدأ التعاون. وقد تم الإشارة إلى ذلك سابقا.

حيث يعبر المرسل عن قصده بما يستجيب لتلك القواعد تارة ، وبخرقها أو تجاهلها تارة أخرى ، فيصبح القصد هنا ما يسميه جرايس و غيره "معنى المتكلم" ،ويمكن أن يتأوله المرسل إليه عن طريق الافتراض بأن المرسل تلفَّظ بالخطاب، وفق ما يقتضيه مبدأ التعاون . [2]

"فدون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدل بكلام المتكلم على ما يريد، لأن المواضعة وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدا، فهي غير كافية إذ لابد من اعتبار المتكلم، أي قصده. "[3]

دون أن ننسى دور عناصر السياق الواضح في تحديد قصد المرسل، وبالتالي في تحديد معنى الخطاب ، وعليه "فإن قصد المرسل المراد إفهامه قد يختلف عن دلالة الخطاب الحرفية بغض النظر عن سياق الإنتاج ،مما ينتج عنه معنى حرفيا و معنى تداوليا". [4]

ففهم الخطاب و تأويله دائما ما يكون مرهونا بفهم مقاصد المرسل، كما أن عدم فهم المقاصد يؤدي إلى إنتاج خطابات غير مناسبة للسياق.

---

1 Geoffry leech، principles of pragmatics، logman group limited ،London، 1996 ، p80.

2 ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 197.

3- أحمد أبو سعد، معجم التراكيب و العبارات الاصطلاحية العربية القديم منها و المولد، دار العلم للملايين، ط1، 1987، ص 244.

4-عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 200.

3- سياق التلفظ و تأويل الخطاب:

فهم النص و تلقيه ليس صورة مطابقة ، أو مجرد انعكاس لإنتاج النص و ليس مجرد نقل للمعلومات اللغوية إلى تمثيل إدراكي بالرغم من أنه تنشط فيه تلك الأنساق المعرفية التي وضعت في سياق إنتاج النص.

فالتفسير و الفهم نشاطان بنائيان مركبان يتجاوز المتلقي عند مزاولتهما كثيرا معالجة معلومات المعنى ، حيث يملأ المتلقي بناء معلومات النص الغامض في العادة بعلم مسبق أو معارف مما يكون قد خزن في ذاكرته، أو اكتسب أو حدث بواسطة التقويم الإدراكي الذي يسبق فهم النص. [1]

حيث "يعد فهم النص أساسا قضية مصاحبة للنص ،ومصاحبة للمعلومات و كذلك مصاحبة للعلم أيضا ، وإنها العملية التي يتم فيها توحيد المعلومات المنقولة في النص مع المعارف التي يشملها العلم المسبق لدى المفسر.

لا يحدث فهم النص مطلقا دون شروط مسبقة و مثله في ذلك إنتاج النص أيضا، المتلقي الذي يفسر نصا، يبني أولا نموذجا لحالة الحدث و كذلك للمشتركين فيه ،فهو يعمل لنفسه صورة عن الآخرين ، ونتيجة هذا التقويم الإدراكي لحالة الحدث و المشتركين فيه التي تسبق أي تفسير للنص، تحدد عمليات فهم النص إلى حد كبير جدا." [2]

كما يمكن أن يفهم النص نفسه لدى مختلفين بطرق مختلفة؛ فرواية تاريخية مثلا يتلقاها مؤرخ بنظرة مختلفة و بذلك باستراتيجية أخرى مختلفة عن قارئ آخر، يريد فقط أن يعلم شيئا إضافيا عن الحوادث التاريخية في فترة معينة، أو عن ثالث يود أن يتمتع بخصوصيات التشكيل الجمالي لهذه الرواية. 3

1- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي،تر:فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود ،المملكة العربية المتحدة، ص 153.
المرجع نفسه ، ص 154.
3- المرجع نفسه، ص 385.

وفي علاقة النصوص بالسياق : تعد السياقات حصيلة للنصوص التي تكتب أو تقال، ويتم تكوينها وتحويلها وتعديلها دائما بالنصوص المستخدمة في موقف دون آخر، ومن هنا نجد أن النص والسياق يتكاملان فيما بينهما، فوحدات النص القصصي الجملية وغير الجملية مثلا ينبغي أن ترتبط في سياقها، و يتعين في النص أن يتم شكله ومحتواه إجمالا بالتماسك والوثاقة لتبرز قبعة السياق في تحديد دلالة الألفاظ المتأثرة بالمقام والمقال ليتحدد ما هو مقصود ضمنا بالألفاظ. [1]

إن المهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ وهذا ما أشار إليه فندريس fendris قائلا : "إننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات

أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا" [2]

ويعرف هايمز دوره –السياق -في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبين المعنى المقصود "إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني، وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني.

فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة. [3]

فالسياق له دور في تحديد معنى الوحدات اللغوية ومعنى الكلمة في حد ذاتها، ذلك أن للكلمة دلالات متعددة بتنوع استعمالها، إلا أن دور السياق يظهر في هذه المواضع، باستحضار الظروف المحيطة أثناء الاستعمال، وكذا المجتمع باعتباره المنتج للنص والمتلقي له. كل هذا يحصر المعنى الحقيقي للكلمة الواردة في سياقها التداولي، فقد تحمل

1- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1 ،1978 ص228

2- فندريس، اللغة، تر،عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط ت، ص252.

3- براون ويول ، تحليل الخطاب، ص 47.

كلمة دلالتين مختلفتين، أو لنقل عبارة تحمل تأويلين مختلفين، هذا راجع للسياق الذي وضعت فيه.

وبذلك لا يمكن الاستغناء عن السياق في تحديد المعنى والتأويل والتحليل. وهكذا يمكن القول أن أهمية السياق في تحديد المعنى، أصبح يشكل "نظرية –إذا طبقت بحكمة- تمثل الحجر الأسود الأساسي في علم المعنى وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة."[1]

من المؤكد أن للسياق دورا بارزا في تحديد المعنى، وكذا في إنتاج النص، إذ أنه "يمكن استخدامه ليصنع تنبؤات حول بنية النص" فليس من السهل تحديد مجال السياق، فعلى القارئ المحلل محاولة الإلمام بكل الظروف المحيطة به وبالبيئة الاجتماعية، وأخذها بعين الاعتبار، وكذا انصرافه إلى "فحص العلاقة بين المتكلم والخطاب في مقام استعمال خاص بدرجة أكبر من تتبعه للعلاقة الممكنة بين جملة وأخرى" [2]

باعتبار أن المعنى هو مجموعة من الملامح المفهومية والتي بفضل بنيتها الخاصة يتشكل معنى العلامة، وتأتي علاقة السياق بالمعنى في كون العديد من الملفوظات لا يمكن تحديد معناها بدقة إلا بمعرفة سياقها الذي وردت فيه، فعادة ما يسأل شخص عن كلمة فيظطر إلى التساؤل عن سياقها الذي وردت فيه. 3

فعادة ما يسأل شخص عن معنى كلمة فيضطر إلى التساؤل عن سياقها الذي وردت فيه.

و ينقسم المعنى تداوليا إلى معنى حرفي و معنى مستلزم. [4] وهما مفهومان اهتم بهما العديد من الدارسين قديما و حديثا في الدراسات اللسانية و التداولية المعاصرة، حيث يسمي "الجرجاني" ثنائية منطوق الخطاب/ مفهوم الخطاب بالمعنى و معنى المعنى،

[1]- استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ، تر: كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القارة ط2، 1981، ص 73.
[2]- براون ويول : تحليل الخطاب، ص 36.
3- علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، ص 39.
4- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 117.

معتبرا المعنى ذلك "ذلك المفهوم من ظاهر اللفظ و الذي نصل إليه من غير واسطة. ومعنى المعنى:أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك إلى معنى آخر" [1]

وعبر عنهما "محمد الحناش" بالمعاني الإيمائية connotations و المعاني الاصطلاحية dénotation .

1- المعنى الإيمائي connotation : عناصر لغوية أو أشكاله الصغرى لم يطرأ عليها أي تغيير دلالي. فهي مازلت تحتفظ بمعناها المعجمي. ولا تعترف بالتغييرات السياقية سلبا أو إيجابا.
2- المعنى الاصطلاحي dénotation: عناصره الشكلية تحمل دلالات متعارف عليها في مجموعة لسانية معينة. ويمكن أن يطلق على هذا المعنى، المعنى المجازي بينما يطلق على الأول المعنى الحقيقي للأشكال اللغوية. وبصفة عامة فإن النص ينقلب في الأخير إلى ثنائية الشكل و المضمون . [2]

وعموما يجب المرور بالمعنى بالمعنى الاصطلاحي للوصول إلى المعنى الإيمائي أي المرور من المقصد الموضعي لاستنتاج المقصد الإجمالي وذلك من أجل استيعاب الخطاب و الكشف عن مقصديته.

لقد تعددت التسميات حول ثنائية التعيين و التضمين منذ البلاغة التقليدية وصولا إلى الدراسات المعاصرة. فنجد "غرايس" مثلا يلاحظ أن بعض الأقوال تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تشكل التي تشكل منها الجمل."إن هذا الجزء من دلالة القول تبلغ أكثر مما تدل عليه الكلمات التي تشكل منها الجملة يطلق عليها تضمينا Imlicature بعضها يرتبط بالتعبير اللساني و بعضها الآخر تثيره العلاقة بين القول و السياق." [3]

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص 178- 180.
2- ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، دار هومة للنشر و التوزيع ، 2002، ص 82.
3- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج) ، ص 47.

لقد جرت البلاغة التقليدية منذ أرسطو على تمييز الاستعمال الحرفي للغة من الاستعمال الغير حرفي. فإذا قلنا : "القط فوق الحصير فإننا نستعمل اللغة حرفيا، في حين إذا قلنا لأحدهم.. غرفتك زريبة خنازير، فإننا نستعمل اللغة استعمالا غير حرفي. " [1]

يريد المخَاطِب في الحالة الأولى أن يخبر المخاطَب بأن قطا معينا يوجد فوق حصير معين، أما في الحالة الثانية، فإن المخاطب يرغب في إخبار المخاطَب أن الغرفة متسخة ينبغي تنظيفها وترتيبها ولم يقصد بأن الغرفة تأوي قطيع خنازير.

تتخلل الخطاب عموما معان ودلالات لغوية وضعية مباشرة ،و أخرى غير مباشرة يتم فهمها عن طريق الاستنتاج و التأويل.

مما سبق يمكننا القول بأن الشكل الخطابي ليس كافيا للدلالة على قصد المرسل في موقف معين، حيث يمكن أن يطابق شكل الخطاب قصد المرسل كما يمكن ألا يطابقه، لأن هناك معاني مضمرة في الخطاب لا يمكن الكشف عنها إلا بواسطة التأويل واستنادا إلى المعرفة المشتركة ومعرفة السياق.

1- آن روبول، جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 181.

الفصل الثالث: السياق وحدود التأويل

- **المبحث الأول: السياق و تعدد التأويلات**
  - **الإحالة**
  - **الظاهر و المضمر في الخطاب**
  - **التعبيرات الإشارية**
- **المبحث الثاني: عمليات و مبادئ تأويل و فهم الخطاب**
  - **عملية الافتراض**
  - **مبدأ الفهم المحلي و مبدأ القياس**
  - **الاستدلال**
  - **الاستنتاج**
- **المبحث الثالث: عناصر السياق و حدود التأويل**
  - **السياق و إيقاف التأويل**
  - **العلاقة بين المتخاطبين**
  - **المعارف المسبقة و المعرفة بالعالم**

"إن الغموض الذي يلف العلامة المتعددة الدلالات يزول حين توضع في سياقها"

"بيير غيرو"

المبحث الأول: السياق و تعدد التأويلات

تختلف زاوية النظر إلى ما هو مهم فعلا في عملية فهم الخطاب /النص وقد بين "براون و يول" الفرق بين محلل الخطاب و الشكلاني "إن محلل الخطاب أثناء عملية التحليل ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ترد فيه الخطابات و المقاطع الخطابية. ويختلف محلل الخطاب عن الشكلاني حيث أنه يدرس استعمال اللغة في سياق معين من قبل متكلم/ كاتب أما محلل الخطاب فإنه يقوم بفحص العلاقة بين المتكلم و المخاطب في مقام استعمالي خاص ، بدرجة أكبر من تتبعه للعلاقات الممكنة بين جملة و أخرى بصرف النظر عن واقع استعمالها "[1] لذلك تختلف زاوية النظر إلى الإحالة بين كل من الشكلاني و محلل الخطاب، وسيتم الحديث عن الإحالة لارتباطها بالمقاصد ، وكذا لمعرفة مدى فاعلية السياق في تأويل الإحالات النصية ، و الخارج نصية .

1- الإحـــــــالة:

يعتبر مانغونو (d.Mangueneau) الإحالة عبارة عن :"العلاقات الاسترجاعية (العائدة) بين عنصر و عنصر آخر في السلسلة النصية." [2]

وعليه يتبنى (ميرفي Murfy) تعريفا لسانيا نحويا :"الإحالة تركيب لغوي يشير إلى جزء مما ذكر صراحة أو ضمنا في النص الذي سبقه أو الذي يليه." [3]

وذلك بأن يعتمد عنصر معين في النص على عنصر آخر والأول يفترض الثاني، حيث أنه لا يمكننا فك شيفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني، لأن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل

[1] - براون ويول، تحليل الخطاب، ص 233.
[2] - المرجع نفسه، ص 283.
[3] - المرجع نفسه، ص 283.

تأويلها وفهمها و تفسيرها حتى يتم اتساق النص و ذلك من منطلق أنها عناصر لا تمتلك دلالة مستقلة، فشرط وجودها هو النص من جهة، ومعرفة ما تشير إليه من جهة أخرى[1]، كونها: "رابط دلالي إضافي لا يطابقه أي رابط بنيوي" [2]. وما ستنتج من ذلك ، هو أن يكون لكل إحالة وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له ، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما ، إذ مهما تعددت أنواع الإحالة فإنه تقوم على مبدأ واحد الاتفاق بين العنصر الإشاري و العنصر الإحالي في المرجع. [3]

وتـــم اختيار الإحالة كمثال لإثبات ضرورة توفر بعض المعلومات السياقية من أجل تأويل تلك الإحالة خاصة فيما يتعلق بالإحالة المقامية، وتم الحديث عنها لارتباطها بعملية الفهم وما يفعله المتلقي لأجل فهمها و الوصول إلى مقاصد المتكلم. حيث تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين: الإحالة المقامية و الإحالة النصية، وتتفرع الثانية إلى: إحالة قبلية و إحالة بعدية. "فالإحالة المقامية هي إحالة إلى خارج النص، بينما الإحالة النصية هي إحالة داخل النص".[4]

أ- الإحالة النصية:

الإحالة عموما هي شكل من أشكال "السبك" و "الربط" و "الانسجام" لها صور عديدة منها: الضمير ، الإشارة، أداة التعريف (ال) ، و إعادة اللفظ، و إعادة المعنى ، ونحويا المقصود بالإحالة : "عود الضمير، وما يقوم مقامه من إشارة أو أداة تعريف أو إعادة لفظ أو معنى". [5]

[1] - ينظر:محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 16 – 17.
[2] - الأزهر الزناد ، نسيج النص، ص 118.
[3]- ينظر : المرجع نفسه ، ص 118.
[4] - محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 17.
[5]- تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2006، ج1، ص 46.

"لأن الضمائر تدل دلالة وظيفية على مطلق الغائب أو الحاضر ، فهي لا تدل مسمى كما تدل على الأسماء، فإذا أريدها أن تدل عليه فتنقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية، كان ذلك بواسطة المرجع فدلالتها على المسمى لا تأتي إلا بمعونة الاسم." [1]

"فالإحالة النصية هي علاقات مرجعية "داخل النص " سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق أو أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النص"[2]. ومنه تطلب من المستمع أو القارئ أن ينظر في الجملة ذاتها أو النص أي داخلهما ؛ للبحث عن الشيء المحال عليه، و تأتي بصورتين:

إحالة قبلية: وهي الرجوع إلى ما سبق ذكره في النص ، وهي: " الإحالة السابقة أو الخلفية التي تستخدم فيها كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص."[3] فهي استعمال لكلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص.

إحالة بعدية: وهو النوع الثاني من الإحالة داخل النص ، وقد ترجم بمصطلحات مختلفة أهمها: "لاحقة"، "أمامية"، "بعدية" وهي عبارة عن : "استخدام كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات التي تليها في النص."[4]

حيث يتم استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص.

ب- الإحالة المقامية:

وهي الإحالة إلى خارج النص ،أو الإحالة لغير المذكور- بمصطلح ديبوغراند R.debaugrande – فهي تعتمد في الأساس على السياق و مقتضى الحال (خارج

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها ، ص 113.
[2]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق،دار ضياء، القاهرة، ط1، 2001، ج1، ص 40.
[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص38-39.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

حدود النص)، وتأويلها في عالم النص سيحتاج تركيزا على عالم الموقف الاتصالي لهذا العالم النصي. [1]

والإحالة إلى خارج النص تتطلب من المستمع أن يلتفت خارج النص حتى يتعرف على المحال إليه؛ ويتوقف هذا النوع من الإحالة على معرفة سياق الحال أو الأحداث أو المواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء و الملابسات المحيطة بهذا النص. فأثناء تلقي المخَاطَب لخطاب ما لا ينفك أن يفلت من قبضة النص و يربط الخطاب بالعالم الحقيقي.

ذكر مملكة السلاجقة* في رواية سمرقند تحيل إلى شيء خارج النص لن يتمكن المتلقي من تأويله من خلال سلسلة الإحالات وعن طريق ربطه بالعالم الحقيقي و ثقافته العامة.

"إن النظرة الدلالية التقليدية للإحالة هي تلك النظرة التي ينظر فيها إلى علاقة الإحالة على أنها تربط العبارات في النص بكيانات في العالم في حين أن علاقة الإحالة داخل تربط العبارات في أجزاء مختلفة من النص." فمصطلح الإحالة يستعمل في الطرح التقليدي كما هو الحال لمصطلح "معنى لغوي" للحديث عن معنى المفردات. [2]

لكن التعرف على الشيء الذي قصده المتكلم مهم لفهم التعبيرات المحيلة في الخطاب ويشير براون ويول إلى أنه مهما كانت صيغة العبارة المحيلة فإن وظيفتها الإحالية تعتمد على مقصد المتكلم في مقام استعمالها الخاص.

[1]- روبرت ديبوغراند، النص و الخطاب و الإجراء، ص 332.

* السلاجقة أو بني سلجوق: هي سلسلة تركية حكمت في أفغانستان و إيران و أجزاء من الأناضول و سورية و العراق و الجزيرة العربية ما بين 1038- 1157 م ثم إلى 1194.

[2]- ينظر: براون ويول ، تحليل الخطاب، ص 245.

- التعبيرات المحيلة:

إن نمط العبارات المحيلة الأكثر تعرضا هو الاسم المعرف، حيث يمكن أن تستعمل لغرض غير إحالي و لا ينبغي للمخاطب أن يفهمها على أنها تحيله إلى شخص بعينه مثل الخطاب التالي: **"ينبغي إرسال الموفد إلى كل إقليم و إجراء حسابات طويلة."** [1]

فهنا لا يحيل المرسل إلى موفد محدد، مبينا عدده و ما تضمنه من أشخاص نساء أو رجال ، أطفال أو شيوخ ، بل كل ما تم ذكره أشخاص سيتم إرسالهم إلى أقاليم لإجراء حسابات ما دون أن يكون قد بين هويتهم في عالم النص.

على القارئ طوال الوقت أن يقبل حقيقة كون المسميات المعرفة التي يستعملها متكلم أو كاتب تهدف إلى الإحالة على شخص في العالم. [2] رغم أن المرسل لا يحيلنا إلى موفد محدد إلا أنه يقصد فعلا وجوده و يريد من المتلقي التعرف على هذه النية.

الإشكالية التي يطرحها "براون ويول" حول الإحالة تبرز أن عملية الفهم لا تتم إلا عبر الخروج عن النص و الربط بين ما هو نصي و خارج نصي حيث يقولان:" قد تلتقي مع صديق يحدثك عن غرابة سلوك رجل كان قد قابله في الحانة ربما أخبرك عن سلسلة طويلة من الأحداث مستعملا ضمير الغائب "هو" للإحالات اللاحقة على ذلك الشخص، فهل تعتقد في نهاية هذه القصة الخيالية القوية بالمعلومات ستظل قادرا على تذكر الصيغة الأصلية لعبارة الإحالة بالضبط؟ ولو كنت عاجزا عن تذكر الصيغة بالضبط فهل يعني هذا أنك كنت عاجزا عن فهم ما قيل لك؟."[3] فلا حاجة لنا بالعودة و تقليب الصفحات مادمنا نفهم الشيء المحال عليه. فالإحالة نموذج يثبت أن تحليلها و فهمها يتطلب العودة إلى ما هو خارج نصي، كما تساهم الإحالة في الترابط النصي، ولكنها أيضا تساهم بشكل كبير في انسجام النص و ارتباطه المفهومي؛ لنأخذ المثال التالي:

---

[1]- أمين معلوف، سمرقند، تر: عفيف دمشقية، دار الفرابي ، بيروت – لبنان، 1997، ص 101.
[2] - ينظر: براون ويول ، تحليل الخطاب، ص 253.
3- ينظر: المرجع نفسه، ص 239.

"يحدث أحيانا في مساء بطيء عبوس أن يتسكع بعض أهالي سمرقند في درب الحانتين..." [1]

فإن كان المتلقي شخص لا يعلم أن "سمرقند" هي مدينة تقع في أوزباكستان في آسيا الوسطى و بمعزل عن السياق النصي ربما يظنه اسم فتاة أو طائرة...الخ، لكن يتوصل إلى التأويل الصحيح من خلال العبارة السابقة بإحالة من كلمة "أهالي" أي سكان وهو ما يستلزم أن تكون سمرقند اسم مكان.

فهنا تمتزج الإحالة داخل النص مع ما هو خارج نصي ،حيث ان السياق النصي وحده لن يضمن للمتلقي المعرفة التامة بالمنطقة ما لم يربط ذلك بمعرفته بالعالم . فهذه إحالة معنوية ساهمت في الترابط المفهومي للنص.

وقد تبرز المسألة جيدا من خلال المقطع الخطابي التالي:

"... اقتربت من الخيام امرأة حامل ، وإذ كانت قد رفعت نقابها فقد بدا أنها تكاد تكون في الخامسة عشر من العمر..." [2]

الهاء في نقابها لا تعني شيئا في ذاتها إلا بالعودة إلى الوراء حيث تعود على تلك المرأة الحامل التي اقتربت من الخيام لكن الفهم لن يكون تاما إلا إذا علم المتلقي ما هو النقاب؟ خاصة إذا ما كان شخصا لا يعيش في منطقة ترتدي فيها النساء النقاب.

نخلص إلى أن بعض العناصر المحيلة لا تكتفي بذاتها فهما و تأويلا إذ لابد من العودة إلى السياق لمعرفة ما تشير و تأويلها التأويل المناسب.

1- أمين معلوف، سمرقند، ص 13.
2- المرجع نفسه، ص 14.

كما نستنتج أن الترابط النصي عن طريق الأدوات لن يتيح الفهم التام للنص/الخطاب؛ فبعض العلاقات في النص تحتاج من القارئ جهدا في التفسير و التأويل و توظيف ما في مخزونه من معارف و معلومات و تجارب سابقة عن العالم للكشف عنها و تحقيق عملية التواصل، فتوفر معلومات حول السياق قد تكون كافية لعملية التأويل دون الحاجة إلى الروابط الشكلية.

2- تأويل الظاهر والمضمر (المعاني الضمنية) في الخطاب :

يستعمل جرايس 1975م مصطلح المعنى الضمني implicature للحديث عما يمكن أن يضمنه أو يوحي به أو يعنيه المتكلم ما فوق ما يصرح به ظاهر كلامه.

يشير ج.سورل (J.Searle) إلى مقصد المتكلم حيث يقول: "(....) عندما أتكلم فأنا أحاول إيصال بعض الأشياء إلى مخاطبي بدعوته إلى التعرف على مقصدي من توصيل تلك الأشياء بالذات و أتحصل على الأثر المنتظر عندما أدعوه إلى معرفة غرضي من تقديم هذا الأثر له، وما إن يتعرف مخاطبي على ما في غرضي الحصول عليه، حتى تتحقق النتيجة عموما."[1]

فالدلالة موضوع شائك لدى جرايس و سورل فالأشياء المتحدث عنها ليست المعطيات الدلالية الخام المحتواة في الملفوظ والتي يمكن أن نسميها "المعنى الحرفي" للملفوظ ولكنها الأثر التداولي للتلفظ بالملفوظ.

والملفوظ وسيلة اصطلاحية لإيصال مقصد متضمن في القول يتجاوز المحتوى الخام للملفوظ، لكنه يشكل قاعدة ضرورية لا غنى عنها، غير اتفاقية للدلالة على ذلك الغرض.

بهذا المعنى يتعلق الأمر باشتراك في التلفظ بإنشاء الباث والمتقبل دلالة في الوقت ذاته على أساس المواضعات و المعطيات السياقية و الخلفية المعرفية المشتركة.[2]

[1]- فيليب بلانشيه ،التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 139.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص141 .

جرايس قام بوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن يوحي بها فالإضافة إلى المعنى المباشر يوحي بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة:

فحين نتأمل العبارة التالية:

"... كان بالقرب منه على منضدة واطئة قلم و دواة ومصباح مطفأ و كتابه المفتوح على الصفحة الأولى التي بقيت بيضاء"[1]

نجد أنها تحمل معنى حرفيا و معنى ضمنيا نابع من افتراضاتنا و معرفتنا بالعالم وهو أن الشخص المتحدث عنه هو شخص متعلم كان بصدد الكتابة ثم أطفأ المصباح وخلد إلى النوم، كما نفهم من الصفحة التي بقيت بيضاء أنه كان يكتب شيئا ثم توقف، وربما لم يكتب شيئا كونها الصفحة الأولى، والسياق وحده كفيل بوضع حدود التأويلات الممكنة للأقوال الضمنية.

فأي تواصل يكون تصريحيا بشكل جزئي و يكون ضمنيا بشكل جزئي أيضا وكل دلالة تنشأ في قسم منها عن معطيات ضمنية، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريحي.

يشير مانغونو إلى أن المعنى الضمني يظهر من خلال المحتويات الصريحة حيث يمكننا أن نستنبط من الملفوظ محتويات لا تشكل مبدئيا الموضوع الحقيقي للتلفظ.[2]

فحين يقول أحدهم :

- أينبغي أن أنتظر حتى أصبح عجوزا لأعبر عن أفكاري؟[3]

فإننا إضافة إلى المعنى الحرفي للكلمات أو العبارة نستنتج معنى ضمنيا وهو أن المتكلم الآن شاب ربما يصل إلى مرحلة الشيخوخته ليعبر عن أفكاره.

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 28.
[2]- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 71.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 25.

وهذا مثال آخر:

" لقد ترك هذا المسافر سمرقند منذ ثلاثة أشهر طوال، و ظننت أن بإمكانه مقاسمتك الغرفة." [1]

يمكن هنا أيضا أن نفهم من العبارة السابقة معاني ضمنية: منها أن الشخص المتحدث عنه كان في سمرقند وهو الآن خارجها؛ وأنه كان يقيم في تلك الغرفة التي لم تكن ملكا له بل لشخص آخر حيث هناك من أتى يطلب الإقامة فيها.

و المعاني الضمنية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقاصد التي ينوي المتكلم إيصالها إلى المتلقي وهذا ما تحدث عنه براون ويول: "ومن المفيد التأكيد أن المعاني الضمنية هي جوانب مقاصدية من المعنى المباشر للقول حسب استعماله في سياق محدد مشترك بين المتكلم والمخاطب، وتعتمد على التزام المتكلم و المخاطب بالمبدأ التعاوني و ضوابطه."[2]

لكن المعاني الضمنية قد تكون مجرد تأويلات بسبب صعوبة الإلمام بمقاصد المتكلم ؛ لكن يقل ذلك بالعودة إلى السياق وتكون إمكانية وجود التأويل الصحيح كبيرة نوعا ما.

مثال ذلك: ـ **عمنا العجوز هنا لا يسمعك.** [3]

يفضي المثال السابق بشكل شبه آلي إلى تأويلها على أنها ليست مجرد تقديم معلومة ؛و إنما هي طلب رفع الصوت مثلا ،أو إعادة ما تم قيله لأن العجوز لا يسمع.

للغة مواضعاتها للتعبير عن مقصد المرسل في كافة المستويات، ومنها المستوى الدلالي، إذ لم يستطع المرسل أن يعبر عنه وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريا، إلا انه قد يعدل عن ذلك فيلمح بالقصد عن مفهوم الخطاب المناسب

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 81.
[2]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 42.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 29.

للسياق، لينتج عن دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه ،و يسمى ذلك بالإستراتيجية التلميحية. [1]

وهذا مثال آخر:

"لقد آن الأوان أن ترفرف راية السلاجقة على سمرقند."[2]

فالعبارة لا تعني مجرد أن الراية سوف تنصب فوق بيوت سمرقند وهذا هو المعنى الحرفي، إنما هناك معنى ضمني وهو أن المدينة سوف تصبح تحت نفوذ الدولة السلجوقية، و تصبح تابعة لها في أمور السياسة والمجتمع.

فمن البديهي أن يمنح السياق هذا الخطاب أكثر من قصد: "لا يزال سلاحي باردا"[3]

فهو لا يقصد أن السلاح يعاني من البرودة بمعناها اللغوي و إنما استعمل الإستراتيجية التلميحية للدلالة على أنه لم يطلق أي رصاصة و بذلك لا يزال سلاحه باردا.

كذلك في المثال التالي:

ـ غدت "سيدة" أرملة إذن.[4]

هنا يغدو من الواضح أن المرسل قد أنتج خطابه بالإستراتيجية التلميحية بالاعتماد على تفعيل مبدأ التعاون والثقة في أن المرسل إليه سيتمكن من تأويل الخطاب المناسب للسياق. ليدرك أن هذه المرأة كانت متزوجة. ويعتمد المرسل في أثناء إنتاج خطابه على توظيف ما لدى المرسل إليه من معرفة بالعالم وأن المرأة حين يتوفى زوجها تسمى أرملة. فهنا ضمن خطابه معنى ضمنيا وهو أن زوجها قد توفي.

فالمعنى الضمني يحتاج إلى عمليات ذهنية للوصول إلى المقاصد.

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 367.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 128.
[3]- المرجع نفسه، ص 301.
[4]- المرجع نفسه، ص 60.

أشار "أحمد المتوكل" أن القوة الإنجازية التي يمكن أن تواكب العبارات اللغوية [....] قوتان:

1- قوة إنجازية حرفية.

2- قوة إنجازية مستلزمة.

و يميز عادة بين هاتين القوتين على أساس أن القوة الأولى مدلول عليها بطريقة مباشرة بصيغة العبارة، في حين أن القوة الثانية تتولد عن الأولى طبقا لمقتضيات مقامات معينة.[1]

فالإستراتيجية التلميحية هي الإستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله إذ تجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق.[2]

مثال ذلك:

"و أؤكد لكم أن كثيرا من الرؤوس كانت ستترنح فوق الأكتاف.."[3]

فالمرسل لم يصرح بأن عمليات قتل سوف تتم ينتج عنها ترنح فوق الأكتاف أي قطع تلك الرؤوس حيث قام بالتعبيرعن القصد ين بخطاب واحد.

فهو يقصد معنيين أحدهما هو قصده المباشر الظاهر في لغة الخطاب، الآخر هو قصده غير المباشر و هو أنه كانت ستكون هناك حرب وقتال، إذ استغنى بهذا الخطاب عن القول بأن هناك رؤوس سوف ستترنح فوق الأكتاف.

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 370.
[2]- ينظر: المرجع نفسه ، ص 367.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 29.

كذلك هو الأمر في الخطاب التالي:

"لم يكن القاضي ساخرا و لا متحمسا، فما كانت هناك أدنى ظاهرة انفعال." [1]

للخطاب السابق معنى ضمني وهو أن القاضي كان هادئا استعمل للدلالة على ذلك عبارة تحمل القصد الغير المباشر وهي "ما كانت هناك أدنى ظاهرة انفعال".

من البديهي أن السياق هنا يمنح الخطاب السابق أكثر من قصد:

-" مولاي بانتظارك بعد صلاة الفجر."[2]

فليس الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن كان واحدا من مقاصده، فليس القصد الرئيسي، إذ يختبئ وراء قصد آخر، وهو الطلب حيث لم يصرح له مباشرة بأنه ينبغي أن يأتي بعد صلاة الفجر حيث استغنى عنه بالقول أنه هناك من ينتظر أن يأتي في ذلك الوقت.

فالمرسل يتوخى إفهام المرسل إليه في خطابه، ولا يتأتى له ذلك إلا بتوفر بعض الشروط في المرسل إليه، لئلا يكون الإخفاق هو مآل الخطاب، وهذا ما لا يسعى إليه المرسل و قد أشار عبد الهادي بن ظافر الشهري إلى بعض الشروط التي لابد من حضورها عند استعمال الإستراتيجية التلميحية تضمين الخطابات معاني ضمنية لما فيها من تجاوز للكفاءة اللغوية البحتة إلى معرفة بعض الأبعاد الأخرى التي تتعلق بالسياق منها:

ـ امتلاك مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة التداولية لإنتاج الخطاب المناسب للسياق، بما في ذلك من تمثل العناصر السياقية وبلورتها في الخطاب اللغوي، ليرتبط فيه اللفظ بقصد المرسل بشكل من أشكال الخطاب اللغوي المتعددة أو بآلية من آلياته الكثيرة، مما ينتج عنه عدد غير محدود من الخطابات باستعمال الآلية الواحدة من آليات التلميح مثل الكناية، فالكفاءة التداولية تستقر في منطقة التجريد في ذهن الإنسان.

[1]- أمين معلوف، سمرقند ، ص 43.
[2]- المرجع نفسه، ص 28.

ـ معرفة الأبعاد الثقافية بصورة عامة، أي المعلومات المشتركة أو الخلفية المختزنة لدى كل من أطراف الخطاب، لأننا نلاحظ أن الانتقال من دلالة الوضع إلى دلالة (المعنى الحقيقي\الحرفي) إلى دلالة الملزوم (بالعقل\المعنى المستلزم) يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية[....] تتم بواسطة ما يعرف عند بعض المناطقة المعاصرين بالخلفية الثقافية الاجتماعية. ليمكن توظيفها في الخطاب. ومن الأبعاد مخزون اللغة الثقافي [.....] والتي قد يستعملها المرسل في بناء خطابه.[1] ويتضح هذا في الخطاب التالي:

"... فقد وزن أشخاص غيري المصيبة بالدولارات..." [2]

فنحن لا نفهم من هذا الخطاب معناه الظاهر حسب ما تمليه علينا معرفتنا المسبقة بالعالم فليس هناك في الواقع شيء نزنه بالدولارات بل إنه يحمل معنى مضمرا وهو أنه قد تم تقديم الخسائر المادية لتلك المصيبة؛ وبذلك تم معرفة مدى خطورتها بوزنها بالدولارات. ولا يكفي وجود بعض الشروط فقط في المرسل، بل لابد أن يكون المرسل إليه قادرا على فهم القصد. ولن يتحقق ذلك ما لم يشارك المرسل في الأبعاد الثقافية والاجتماعية وبالقدر نفسه. وهذت ما نلاحظه في ما يلي:

"وقدر عمر أنه قد حان الوقت لكسر طوق الصمت.." [3]

فمتلقي هذا الخطاب لا ينبغي أن يؤول الخطاب ظاهريا بل يجب أن يدرك انه استعمال غير حرفي فليس الصمت طوق ينبغي كسره بل المقصود هو أن عمر سوف ينطق بضع كلمات ليزيل الصمت.

يسمي الجرجاني المعنى المجازي بمعنى المعنى وذلك في حديثه عن الكناية، كما يعتبر السكاكي أنه يمكن للمرسل أن يخرج عن أصول الأفعال اللغوية لينجز الأفعال اللغوية غير المباشرة، وتتوزع في الأدبيات العربية كثير من المفاهيم التي تشير إلى المعنى غير الحقيقي في الخطاب.

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 378.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 65.
[3]- المرجع نفسه، ص 76.

وفي البحث الحديث يسمى (جرايس) ذلك بالمعنى غير الطبيعي، كما يسميه (سيرل) بالمعنى غير الحرفي، وبمعنى ملفوظ المتكلم، مثلما هو الحال في الاستعارة مثلا، ويرى أن هناك شواهد أو آليات تقع بين معنى ملفوظ المتكلم وبين المعنى الحرفي للجمل، ومن هذه الشواهد: التهكم، والأفعال اللغوية غير المباشرة وذلك لأنه لا يتطابق ما يعنيه المرسل، في كل صنف من هذه الأصناف مع معنى الخطاب الحرفي، بيد أن ما يعنيه المرسل يعتمد بطريقة أو بأخرى ما تعنيه الجملة، ويدحض سيرل ذلك أي من يقول أنه يوجد معنيان للكلمة أو للجملة، أحدهما حرفي والآخر استعاري مؤكدا أنه لا يوجد لهما في الأصل إلا معنى واحدا وما المعنى الاستعاري إلا معنى ملفوظ المتكلم والعلاقة بين المعنيين هي علاقة منظمة، فلا تخلو العلاقة بين الملفوظ والقصد من بعدين هما:

أن تكون بينهما علاقة مباشرة مثل علاقة اللازم والملزوم في الكناية أو لا تتوفر تلك العلاقة أصلا.مثلما هو الحال في آلية التعريض. والسياق هو الرابط بين الملفوظ والقصد وبالتالي فإن القصد قد يتعدد بتعدد السياق، بالرغم من وحدة لفظ الخطاب في الظاهر.[1]

وعليه فإن المرسل يعبر عن قصده في الإستراتيجية التلميحية بما يمكن أن يسميه مفهوم الخطاب بمعناه الواسع، الذي يقابل منطوق الخطاب أي بما يمكن أظن يفهمه المرسل إليه من الخطاب الملفوظ. إذ يقتصر دور لفظ الخطاب على إرشاد المرسل إليه إلى قصد المرسل، وجعله علامة عليه وهذا السبب نسميه القصد بالمفهوم هنا، لأن المفهوم هو "دلالة اللفظ على حكم شيء، سواءا كان الحكم المدلول عليه موافقا للمنطوق به، أم كان مخالفا له، فإذا كان موافقا للمنطوق به يسمى مفهوم الموافقة، وأما إذا كان مخالفا للمنطوق به سمي مفهوم مخالفة"[2] وهذا قد يواكب إلى حد ما مفهوم الاستلزام الحواري عند (جرايس).

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 380.
[2]- المرجع نفسه، ص 385.

3- التعبيرات الإشارية :

إن الإشاريات مثل: (أسماء الإشارة، والاسم الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان) من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب، لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقا يطلقون عليها المبهمات.[1]

إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات.[2]

الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق التكلم مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الاشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه.[3] فكل فعل لغوي يكون ناجحا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة.[4]

فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب.

لكل دال مدلول ومرجع يحيل إليه المرسل عند التلفظ بالخطاب، وهذا ما يساعد على تأويل الخطاب ومعرفة قصد المرسل، إلا أن هناك بعض الدوال التي لا تختص بمرجع معين ثابت، ومنها الإشاريات.[5]

"يتجسد الخطاب باللغة في مستوياتها كافة، والكلمات جزء من نظام اللغة، فتحيل كل كلمة على مدلول معين، إلا أن بعضا منها يوجد في المعجم الذهني دون ارتباطه بمدلول ثابت، فلا يتضح مدلوله إلا من خلال التلفظ بالخطاب في سياق معين". [6]

---

[1]- عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس (فصول، ربيع، عدد 66، 2005)، ص 41.
[2]- فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 42.
[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 81.
[4]- فان دايك ، النص و السياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي، تر: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق ، 2000، ص 266.
[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 126.
[6]- المرجع نفسه، ص 126.

لنلاحظ المثال التالي:

"لا يهم كثيرا أن تكون قد نظمت هذا البيت أو ذاك..." [1]

فالمتكلم هنا استعمل الأدوات الإشارية "هذا" و"ذاك" في محاولة لتحديد البيت الشعري المتحدث عنه لكن القارئ لن يتمكن من معرفته إلا من خلال السياق ذلك لأن الاشاريات من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق التداولي لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، فبالرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت. [2]

ورغم هذا، إلا أن المبهمات عامل هام في تكوين بنية الخطاب من خلال القيام بدورها النحوي ووظيفتها الدلالية، ويستثمر المرسل هذه الصفات في الخطاب الذي يجري بينه وبين المرسل إليه ، عندما يمده في نسيج يتجاوز في كليته الجملة الواحدة فتصبح فائدتها الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظ بها أحدهم والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة.[3] مثل الخطاب التالي:

"لقد لاحظت أن الوزير همس لك بضع كلمات، لم أسمعها، غير أنني أستطيع أن أؤكد لك أنه لم يخلط بينك وبين آخر، أرأيت كل أولئك المعاونين الذين يحيطون به؟." [4]

فقد استعمل المخاطب هنا عددا من الإشاريات مثل: كاف الخطاب (لك)، (أولئك) "ولا يقف دور الإشاريات في السياق التداولي عند الإشاريات الظاهرة، بل يتجاوز إلى الإشاريات ذات الحضور الأقوى، وهي الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ به.... إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي (الأنا، الهنا،الآن)." [5]

---

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 23.
[2]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 80.
[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 80.
[4]- أمين معلوف، سمرقند، ص 71.
[5]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 80.

2-1- أنواع الإشاريات:

لا يمكن تصور عملية تخاطبية دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة وهي (الأنا، الهنا، الآن) ويمثل كل منها نوعا من الإشاريات وهي:

الإشاريات الشخصية، الزمانية، المكانية، ولأنها موجودة في كفاءة المرسل اللغوية فإن المرسل لا ينطقها في كل حين، ولنرى أن خطابا مثل:

ـ افتح الكتاب.

يتضمن هذه الإشاريات الثلاثة، فبنية الخطاب في صورتها العميقة، هي:

ـ أنا أقول لك، هنا، افتح الكتاب الآن. [1]

و" تنتسب الإشاريات إلى حقل التداوليات، لأنها تهتم بالعلاقة بين تركيب اللغات و السياق الذي تستخدم فيه." [2]

أ ـ الإشاريات الشخصية:

"وهي بشكل عام، الإشاريات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه، وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا، لأن الأنا قد تحيل على المتلفظ الإنسان، أو المعلم، أو الأب، وهكذا." [3]

فالمخاطب أثناء تلقي الخطاب يستحضر تلك الإشاريات، لتأويل الخطاب تأويلا مناسبا.

وتشمل الإشاريات ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب فهذه الضمائر عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه.[4]

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82.
[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18.
[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82.
[4]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18.

في المثال التالي:

"لكن حذار أن يراه أحد غيرك.." [1]

تعود الهاء على شيء مبهم لا يمكن معرفته إلا من خلال العودة إلى السياق ،وكذلك كاف المخاطب في "غيرك" يتم التعرف على الإحالة عليها من السياق؛ فوحده السياق كفيل بالكشف عن معاني تلك الإشاريات وهو الذي يحدد إحالاتها.

فالضمائر لا يمكن أن تحيل على شيء لو كانت منعزلة عن سياقاتها، وتعطي الإحالة إلى خطاب سابق أية أداة يستعملها المتكلم للإحالة، ويتمكن السامع بموجبها من انتقاء المرجع المقصود شريطة توافر شروط سياقية خارج النص وداخله.[2] ؛حيث أن عملية فهم ضمائر الخطاب تتطلب توفر مجموعة من المعلومات السياقية.

لنأخذ المثال التالي مثلا:

".....ولكن عندما يذكرها مثقف في بخارى، أو قرطبة ،أو بلخ ،أو بغداد يمثل هذه النبرة النامة عن إجلال مألوف فلا مجال للّبس، فهو أبو علي ابن سينا...." [3]

إن فهم هذا الخطاب يتطلب وجود جزء آخر من السياق فالهاء في يذكرها لا تعني شيئا في ذاتها وإنما تعود على شيء آخر، يمثل هذا عقبة في طريق التأويل ما لم يتم معرفة الشيء المحال عليه، والخطاب التالي يوضح ارتباط الضمائر بما تم الحديث عنه سابقا.

"أبو علي" إنها أكثر الكنى شيوعا ولكن عندما يتذكرها.... [4]

فيتضح أن الهاء تعود على كنية "أبو علي".

---

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 250.
[2]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 256- 257.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 15.
[4]- المرجع نفسه، ص 14.

"ومن وجهة نظر نحوية؛ تعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة... ،و نظرا لفراغها من "محتوى" فقد أصبحت الضمائر الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسيرها." [1]

لنتأمل المثال التالي:

"و يخرج من الظل رجل اختار الألم طوعا، إنه حافي القدمين عاري الجذع تلتف حول يديه سلسلتان غليظتان، و ها هو ذا يطلقهما في الهواء ويتركهما تسقطان وراء كتفيه فوق ظهره، و الحديد مصقول، والجلد يصاب بالرضوض ويندعك، بيد أنه يصمد..." [2]

إن الفهم الصحيح لما يحيل عليه مؤشر المثنى في يطلقهما يستلزم فهم السامع أنه يعود على السلسلتين الغليظتين وليس على اليدين؛ إذ يطلقهما في الهواء ويتركهما تسقطان وراء كتفيه فوق ظهره حتى يصاب بالرضوض، وكل هذا يجعل التأويل صحيحا خاصة مع ذكر الحديد المصقول بعد ذلك.

وهذا مثال آخر:

"وطافت بوجهها ابتسامة ربما كانت مرتبكة، غير أنها لم تشأ بالتأكيد أن تكون حاجزا..." [3]

فالهاء في وجهها تعود على أنثى بلا شك ولكننا لا نملك أي معلومات عنها ولا يمكننا التعرف عليها إلا من خلال السياق التام للخطاب.

وكذلك الهاء في "أنها" يمتلك القارئ تأويلات ممكنة حول إمكانية إحالتها على الابتسامة.

لكن يزول اللبس بالنظر إلى تكملة الخطاب أنها لم تشأ أن تكون حاجزا فلا بد أنها تعود على المرأة المتحدث عنها.

---

[1]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 256.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 283.
[3]- المرجع نفسه، ص 257.

ب-الإشاريات الزمانية:

"هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية، التبس الأمر على السامع أو القارئ." [1]

فإذا وجدنا إعلانا: ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم، فإننا إذا لم نعلم هل التخفيضات ستبدأ أم مضى الأسبوع وبدأت التخفيضات، كما أننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماما.

وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان، وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه العناصر الإشارية إلى الزمان. [2]

"فمن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب تأويلا صحيحا يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ، فيتخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناءا على معرفتها". [3]

فهنا يتبين دور السياق حيث أن الزمان هو جزء من ظروف إنتاج الخطاب.

لنأخذ المثال التالي:

"و كانا قد ارتبطا لتوهما خطيبين، وكان من المفترض أن يتزوجا بعد عام." [4]

يتبين أن المرسل إليه لا يمكن أن يعلم إذ ما تم الزواج أم لا، إذ أنه لا يعلم لحظة التلفظ وهل مر العام أم لا، وهل تم الزواج بعد مرور العام أم قبله بقليل أم أنه لم يتم أساسا.

[1]- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 47.
[2]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 20.
[3]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 83.
[4]- أمين معلوف، سمرقند، ص 198.

ويبقى الأمر عندها مجرد تخمينات، فالعبارة لا تقدم مرجعا زمنيا يمكن أن يسهم في تحديد التأويل الصحيح.

فعندما يتلفظ أحدهم بقوله: الآن سأرحل.

مرجع الأداة الإشارية الزمانية (الآن) هو لحظة التلفظ بها، مع أنه يصعب تحديد هذه اللحظة تحديدا دقيقا ؛ولكن القارئ ينقل المركز الإشاري إلى الإطار الزماني المكاني الذي يطلع فيه السامع أو القارئ على النص. [1]

جـ- الإشاريات المكانية:

إضافة إلى الإشاريات الزمانية هناك نوع آخر من الإشاريات وهي الإشاريات الزمانية وتعرف بأنها :"كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق وتحت، أمام وخلف." [2]

وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة ولا تستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. [3]

فالمرسل لا ينفك عن المكان عند تلفظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فنجد أنها تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 84.
[2]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 20.
[3]- المرجع نفسه، ص 22.

القائلة أن هناك طريقتان رئيسيتان للإشارة إلى الأشياء هما:إما بالتسمية أو بالوصف من جهة أخر أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى. [1]

وتحديد المرجع المكاني يعتمد بشكل واضح على السياق التداولي وتداولية الخطاب، فلا يمكن لمتلقي الخطاب أن يتعرف على المرجع المكاني ومكان المرسل إلا إذا تم الإشارة إليه وتحديده بدقة.

مثال ذلك قول أحدهم: هناك أضعته.

فالأداة الإشارية هناك لا يمكن تحديدها إلا من خلال السياق التي تم التلفظ فيه بهذا الخطاب.

وهذا مثال آخر: **تقع سمرقند على بعد أربع كيلومترات.**

بالرغم من اكتمال الخطاب لغة، إلا أنه يصعب على المتلقي أن يحدد موقع المرسل بالتحديد.

وهذا أيضا مثال آخر: **إذا رفع علمان، يرفع علم المملكة العربية السعودية على يمين المنصة.**

المرسل إليه يدرك أن مرجع كلمة (يمين) سيختلف عندما يكون الشخص وراء المنصة كما لو كان أمامها، وتختلف في حالة إقبال المرسل إليه على المنصة عنه في حالة إدباره عنها، ولذلك يفترض مسبقا بأن اليمين تكون عند جلوس الشخص في مقدمة المنصة، وبدون هذا الافتراض يلزمه إنتاج خطاب طويل لتفسير الاحتمالات وتحديد الناس اتجاه المنصة.

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 84.

ولا يكتفي المرسل لتحديد المرجع للإشاريات المكانية، بتعريفها بناء على موقع المرسل إليه واتجاهه فحسب، بل بالنسبة للأشياء الأخرى التي يستعمل دوالها اللغوية في خطابه، كما هو الحال في الخطاب التالي:

ـ الكرة وراء السيارة.

فيظل مرجع اللفظ (وراء) غامضا، لو استعمله المرسل وحده ولكن تحديده هنا مرتبط بمعرفة الشيييء\الدال (السيارة)، ولا يمكن استعمال أي من هذه الظروف :أمام، فوق، إلا بإدراك المرجع المضاف إليه في ذهن كل من طرفي الخطاب. [1]

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص85.

المبحث الثاني: عمليات ومبادئ تأويل وفهم الخطاب

1- عملية الافتراض:

إن المبدأ الأساس أن لأي خطاب رصيد من الافتراضات المسبقة يضم معلومات مستمدة من المعرفة العامة، و سياق الحال و الجزء المكتمل من الخطاب ذاته.[1] لنتأمل المقطع الخطابي التالي:

"تجرأت امرأة في الإمبراطورية السلجوقية في الوقت الذي كانت فيه أقوى إمبراطورية في الدنيا على الإمساك بزمام السلطة بيدها، فكانت وهي جالسة فوق حجابها تنقل جيوشا من أحد أطراف آسيا إلى طرف آخر، وتسمي الملوك والوزراء والولاة والقضاة.... "[2]

هنا يفترض أن المتلقي سيفهم أن هذه المرأة فريدة من نوعها وقوية جدا وجريئة لتتمكن من الوصول إلى السلطة في أقوى إمبراطورية في الدنيا دون أن يفصح عن ذلك، كما أن المتكلم عادة يقوم بافتراضات عما يتوقعه من المتلقي قبوله دون اعتراض وقد يظهر الشيء اليسير في الخطاب التالي:[3]

ـ ما الأسباب التي دفعتك إلى قتل شاهنا المحبوب؟[4]

ـ إن من لهم عيون ترى لن يجدوا صعوبة في ملاحظة أن الشاه قد قتل في المكان الذي أسيئ فيه إلى السيد جمال الدين.

فالمتكلم يفترض أن المتلقي سيقبل خطابه باعتبار أن كلاهما على علم بأنه فعلا هو القاتل و أنه لا يريد منه اعترافا بل يريد سببا لعملية القتل.

---

[1] - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 96.
[2] - أمين معلوف، سمرقند، ص 22.
[3] - المرجع نفسه، ص 252.
[4] - المرجع نفسه، ص 73.

والمخاطب في إجابته يثبت صحة ذلك الافتراض، فهو لم يرفض مطلقا فكرة أنه هو القاتل بل قدم إجابة ملائمة و إن كانت غير مباشرة، فإنه هو الآخر يفترض أن المتكلم سيقبل خطابه دون اعتراض وأنه سيتوصل إلى فهم مقاصده.

فلدى كل طرف من أطراف الخطاب رصيد من الافتراضات المسبقة، ويظل هذا الرصيد في تزايد مع تقدم عملية الخطاب، كما أن كل طرف في هذه العملية يتصرف وكأن هناك رصيدا واحدا فقط من الافتراضات المسبقة مشتركا بين كل أطراف الخطاب.[1]

وكما ذلك نلاحظ ذلك في المثال التالي:

"- سرطان، سرطان، سرطان. كان الأطباء قديما يعزون جميعا جميع الأمراض إلى قران الكواكب. والسرطان هو الذي احتفظ في جميع اللغات باسم الفلكي. والهلع على حاله لم يمس. - إني لألعن هذا السرطان. ومع ذلك فما من شيء يؤكد أنه هو الذي سيميتني."[2]

إن المخاطب حين يتحدث عن السرطان يفترض أن المتلقي سيفهم أن الذي يتحدث عنه ظاهرة فلكية ترتبط بالمرض المسمى باسمه ولم يكن بحاجة إلى ذكر تفصيل لأن المتخاطبين أساسا يمتلكان معارف مشتركة أدرجت في السياق النصي حيث كان موضوع الخطاب أساسا عن مرض سرطان الفك .

ويظهر ذلك في إجابة المتلقي "سيميتني" حيث أنه توصل إلى التأويل الصحيح، فالسرطان الذي يميت ليس الظاهرة الفلكية بل المرض المسمى أيضا "سرطان"، هكذا إذا فإن الافتراضات المسبقة تتضمن معلومات مستمدة من المعرفة العامة والمشتركة وسياق الحال وهذا ما يثبت دور السياق أيضا في عملية التأويل والفهم بالرجوع إلى تلك المعرفة والافتراضات المسبقة.

[1]- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 97.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 252.

2- مبدأ "الفهم المحلي" و مبدأ "القياس":

لابد من توفر مبادئ لدى السامع تمكنه على سبيل المثال من الوصول إلى فهم مناسب ومعقول... و سنسمي أحد المبادئ التي يمكننا التعرف عليها "مبدأ الفهم المحلي" وفقا لهذا المبدأ فإن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما.

وهكذا فإذا سمع شخص ما أحد يأمره "أغلق الباب"، فإنه سينظر إلى أقرب باب يحتاج إلى إغلاق، فإذا كان ذلك الباب مغلقا، فمن المحتمل جدا أن يقول "إنه مغلق" بدلا من البحث عن أبواب أخرى يمكن إغلاقها. [1]

لنتأمل هذا المثال:

"وقدّر القاضي من نافذة قائمة على يساره مسار الشمس بعين خبيرة فنهض قائلا:

ـ حان الوقت لملاقاة مليكنا.

وصفق آمرا:

ـ ليحمل إلينا بعض الزاد للطريق.

إذ كان من عادته أن يتزود بالزبيب بقضمه في أثناء الطريق، وهي عادة درج المقربون إليه وزوّاره على محاكاتها".[2]

فمتلقي الخطاب سيفهم بالاعتماد على السياق النصي فهما محليا حيث أنه لا ينشئ سياقات تفوق احتياجه للفهم فهو يفترض أن ما تم ذكره من عناصر ستبقى ثابتة ،وأن

[1]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 71.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 32- 33.

الإطار الزماني سيظل قارا، وأن الإطار المكاني لن يتغير، وهكذا يوسع المتلقي دائرة السياق كلما حدث تغيير في أطر الخطاب.

حيث أن المتلقي يفترض أن الخطاب يدور حول الشخص نفسه "القاضي" طوال المقطع الخطابي فهو الذي نهض وتحدث وأمر ،وهو كذلك نفس الشخص الذي يقضم الزبيب أثناء الطريق.

و يفترض كذلك أن المكان سيظل هو نفسه ما لم يعلن المتكلم عن الانتقال إلى مكان آخر.

"إن هذا المبدأ يطلب من المتلقي أن لا ينشئ سياقا أكبر مما هو ضروري لضمان الفهم الصحيح للخطاب".[1]

كما ينبغي أيضا أن يفهم القارئ تسلسل الأحداث على أنها متقاربة زمانيا ومكانيا.

في الخطاب التالي مثلا: [2]

دخل الخيام وحيا و صرح بهوية مشوبة بالحذر:

ـ عمر من نيسابور.

فالقارئ مثلا يدرك أن الحدث الأول "دخول الخيام" والحدث الموالي "تصريحه بهويته" حدثان قريبان زمانيا ومكانيا ؛فالتأويل المحلي سيجعله يبني سياقا محدودا يكون فيه المكان والزمان واحدا حيث صرح عمر عن هويته. فلا يمكن أن يتخيل أن عمر قد دخل و حيا من هناك في منطقة ، وبعد سنة مثلا يصرح بأنه عمر من نيسابور في مدينة أخرى.

لكن مبدأ "الفهم المحلي" يتميز ببعض الغموض كما يشير إلى ذلك براون ويول، "من الواضح بلا ريب أننا لا يمكن أن نتصور مبدأ "الفهم المحلي" إلا بشيء من الغموض"

[1]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 72.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 53.

وذلك في عدم مقدرة القارئ على تحديد المسافة الزمنية التي تفصل الحدث الأول عن الحدث الثاني تحديدا دقيقا".[1]

فعملية الفهم المحلي تطلب من المتلقي\القارئ أن يقلل من عمليات التحليل قدر الإمكان و أن يقتصر على تكوين تصور على درجة كافية من التخصيص، يسمح له بفهم يتناسب مع ما يرى المتلقي أنه غرض القول، ومعرفته بالعالم هي التي تحدد فهمه المحلي.

كذلك فإن تجربة الإنسان مع أحداث سابقة مشابهة فتزوده بتوقعات وافتراضات عن خصائص السياق الذي يحتمل أن تكون مناسبة.[2]

وهكذا فالتوقعات من جهة تجعل عملية الفهم ممكنة وهي من جهة أخرى تشكل امتدادا أو، مزيدا من التأكيد على ذلك الفهم.

يمثل مبدأ القياس إحدى الأدوات الأساسية التي تمكن السامعين والمحللين من تحديد فهمهم داخل السياق، فهم يفترضون أن كل شيء سيبقى على ما كان عليه ما داموا لم يعطوا إشعارا خاصا بتغيير إحدى الخصائص.

ويتم فهم الخطاب على ضوء التجارب السابقة مع خطابات مماثلة قياسا مع نصوص سابقة مماثلة.

وقد تحدث فان دايك عن الجوانب السيكولوجية (النفسية) التي تلعب دورا في فهم النص حيث يقول: "نستخدم للتفريق بين التفسير الشكلي والتفسير السيكولوجي (النفسي) في حال التفسير الأخير للمصطلحات وفهم وتفسير إدراكي (معرفي) أيضا. ويمكن انطلاقا من هذا الفهم أن يقال إن معلومة ما من النص أو عن النص تختزن في الذاكرة"[3]

حيث أنه هناك عوامل عاطفية تؤثر في انتاج النصوص واستيعابها.

---

[1]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 72.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 73.
[3]- فان دايك، علم النص، ص 257.

"لا يتعلق استيعاب النص بفهم النصوص والاحتفاظ بها وتذكرها فحسب بل بعمليات إدراكية أخرى أيضا ووضع الروابط بين معلومات من نص ما والمعارف والمعلومات التي نمتلكها من قبل لزيادة معرفتنا أو تصحيحها".[1]

"تعد الذاكرة أهم مكون في نموذج الاستيعاب الإدراكي للغة، فإذا ما أراد المرء بوجه عام أن يستوعب النصف الثاني من الجملة فإنه يجب عليه أن يحافظ على معلومات عن البنية وفهم الكلمات أو أجزاء الجمل حتى تستخدم مرة أخرى لبناء علاقات نحوية ضرورية أما مكان الحفظ الإدراكي لتلك المعلومات فهو الذاكرة." [2]

عند فهم تتابعات جملية يدور الأمر أساسا حول قدرة مستخدم اللغة على التحكم في العلاقات الضرورية بين القضايا.

3- الاستدلال:

" الاستلزامات الخطابية وبخاصة الاستلزامات الحوارية، تتولد في منوال غرايس عن طريق الاستدلال وبعبارة أخرى يعد منوال غرايس منوالا استدلاليا مقيدا بقواعد المحادثة (أو صادر عنها)، ولقد عرّفنا على نحو شكلي الاستدلال باعتباره عملية منطقية تنطلق من عدد معين من المعلومات المعروفة (المقدمات المنطقية) لتتولد منها نتيجة أو نتائج جديدة". [3]

تمتاز هذه العمليات المنطقية بأنه إذا كانت المعلومات التي تنطلق منها العمليات أي المقدمات صادقة، فإن النتيجة أو النتائج التي يتم استخلاصها منها تكون صادقة أيضا.

---

[1]- فان دايك، علم النص ، ص 259.
[2]- المرجع نفسه، ص 276.
[3]- آن روبول،جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص62.

"ولا تتأسس الاستلزامات الخطابية لغرايس على أنساق الاستدلال البرهاني، بل تتبع آلية صياغة الفرضيات وإثباتها، وفي هذا الإطار قد تفضي الاستلزامات الحوارية إلى أخطاء أو سوء فهم، وتمكن نظرية غرايس في الآن نفسه من تفسير نجاح التواصل (خصوصا التواصل الضمني) وإخفاقه، وعند إخفاق التواصل، عندما يوجد سوء فهم يبطل الحواري الذي انتهت إليه العملية الاستدلالية، وهكذا فإن سمات الاستلزامات الحوارية قابليتها للبطلان."[1]

تقوم أطروحات غرايس على صياغة فرضيات والتثبت منها حيث أن لطروحاته علاقة بالعلوم المعرفية.

"لسبربر وولسن رؤية معرفية للغة ولوظيفتها، فهما يريان أن تأويل الأقوال يتم من خلال عمليات استدلالية لها مقدمات في الصيغة المنطقية للقول إضافة إلى معلومات أخرى." [2]

وتشكل هذه المعلومات الأخرى ما يسميانه بالسياق.

وعلى هذا النحو فإن العملية الاستدلالية التي يتم بها تأويل قول ما لا تنطبق أبدا على الصيغة المنطقية وعلى معلومات أخرى في الآن نفسه (السياق) ويمثل المجموع مقدمات العملية الاستدلالية.

إننا نفترض أن الأفراد الذين نواجههم (حتى لا تتحدث عن حيوانات أو آلات) هم عقلانيون، أي يمكن أن نؤول سلوكهم الذي نتوقعه إلى حد ما اعتمادا على الاعتقادات والرغبات والمقاصد التي ننسبها إليهم بملاحظة سلوكهم السابق، فنحن ننسب حالات ذهنية إلى الآخرين، وانطلاقا من هذه الحالات الذهنية نتفاعل مع الآخرين.[3]

[1]- آن روبول،جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 63.
[2]- المرجع نفسه ، ص 65.
[3]- ينظر: آن روبول،جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ص 62.

وقد اعتبر براون ويول عملية الاستدلال على أنها اكتشاف للحلقة أو الحلقات المفقودة التي تربط بين قولين.[1]

لنتأمل المثال التالي: [2]

أ ـ أثار نبأ الاستيلاء على ألموت قليلا من الاضطراب في أصفهان.

ب ـ المدينة أكثر انشغالا بالصراع الذي كان قد اشتد أواره بين نظام الملك والقصر.

ج ـ لم تكن "تركين خاتون" قد غفرت للوزير العملية التي دبّرها لإقطاعة أسرتها.

في هذا المثال هناك حلقتين مفقودتين يتم التوصل إليهما عن طريق الاستدلال ، حيث نستدل على أن المدينة المتحدث عنها في (ب) ليست هي المدينة التي تم الاستيلاء عليها في (أ)

لأنه لا شيء أكثر انشغالا من الاستيلاء؛ أي أن المدينة لا يمكن أن تنشغل بغير موضوع الاستيلاء عليها وهذه هي الحلقة المفقودة الأولى.

أما الحلقة الثانية:

فيتم إيجادها عن طريق ربط (ج) و (أ) و (ب) باعتبار أن نؤول أحداث (ج) قد حصلت في مدينة "أصفهان" وهذه هي الحلقة المفقودة الثانية.

عندما يتشكل السياق انطلاقا من المعلومات المستقاة من مفاهيم الصيغة المنطقية ،وعندما يتشكل كذلك بواسطة المعلومات المتعلقة بالمحيط المدرك من نتيجة تأويل الأقوال السابقة، فإن الصيغة المنطقية للقول تضاف الى كل هذا. مكونة مقدمة منطقية إضافية، وتطبق حينئذ العمليات الاستدلالية الضرورية لتمكن من التوصل إلى نتيجة ما أو عدة نتائج تتمم تأويل القول.[3]

[1]- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 308.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 136.
[3]- ينظر: آن روبول،جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص62.

و يقترح سيرل "المبدأ الاستدلالي" بأنه عنصر في مسار الفهم حيث يقترح صياغة صريحة لمراحل فهم عمل لغوي غير مباشر عن طريق إدراك المعطيات الخلفية المشتركة. [1]

حيث أن الاستدلال هو عملية منطقية لربط المعطيات الملفوظية والسياقية والمحادثية والتداولية، من أجل إنشاء الدلالة. أن نستدل هو أن نحسب وأن نستنتج انطلاقا من عناصر دالة متعددة لكي نؤول ونقف على دلالة.

ويقع مفهوم الاستدلال أساسا من جهة المتقبل، غير أنه (أي الاستدلال) ليس مجرد تفكيك ولا هو منبت عن الباث بما أن الدلالة هي حصيلة تلفظ مشترك في السياق.[2]

لنتأمل المثال التالي: [3]

ـ كم من الوقت بقي لي؟

ـ بضعة أشهر.

ـ سأستمر في العذاب؟

ـ بوسعي أن أصف لك أفيونا يحد من ألمك.

ـ هل تخاف اليوم الآخر يا خيّام؟

ـ ولِمَ أخاف؟ فبعد الموت إما العدم وإما الرحمة.

[1]- ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 152.
[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 153.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 137 – 138.

في الخطاب السابق يقوم القارئ المتلقي بإنشاء حلقات استدلالية من أجل تأويل ما قيل حيث يقوم بافتراض أن المتكلم هو شخص مصاب بمرض عضال ، وهو على وشك الموت ؛و هكذا يتم اكتشاف الحلقة المفقودة ويواصل سيرورة التأويل حتى يجيب الطرف الثاني في الخطاب بأنه سيصف له أفيونا يحد من الألم حيث يستدل على ذلك التأويل وصحة الافتراض بالقول:

ـ هل تخاف اليوم الآخر؟

أي أنه فعلا على وشك الموت بالمرض المستدل عليه بالأفيون ، وهكذا قد يكون إيجاد هذه الحلقات المفقودة جزءا من تدريب على كيفية بناء النصوص ،لكن ذلك لا يعني بناء لما يقوم به الناس أثناء فهمهم للنصوص يمكننا إذن أن نميز بين عمليات الاستدلال (الاستنتاج)، وايجاد الحلقات المفقودة على النحو التالي:

قد تكون هناك حلقات مفقودة على الناحية الشكلية داخل النصوص، لكن القرّاء والمتلقين هم الذين يقومون بعمليات الاستدلال. [1]

ويتضح هذا في المثال التالي: [2]

أ ـ هل تعلم أنني لا أتقاضى أنا نفسي هذا المقدار؟

ب ـ هذا طبيعي جدا.

أ ـ و لم يا ترى؟

ب ـ لأن العلماء أمثالي لا يجود الزمان إلا بحفنة منهم في العصر الواحد.

يقتضي الخطاب السابق أن المتكلم "أ" عامل و أنه يتقاضى أجرا وأن له عملا كبيرا يجعله يقول "أنا نفسي" ؛ولكن ليس ضروريا أن يشاطره "ب" القصد نفسه ،ويجيب

[1]- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 310 - 311.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 175.

بصورة مباشرة "أنا أعلم" بل وعن طريق الاستدلال المنطقي الذي يستلزم أن "أ" قدم خبرا مباشرا القصد منه شيء آخر غير طلب تقديم إجابة.

الاستدلال المنطقي يستلزم أن "أ" يتذمر من انخفاض أجره أمام "ب" حين يواصل التساؤل عن السبب.

"إن ما تسمح لنا اللغة بدراسته في أمر المقتضيات يقودنا إلى خارج اللغة نحو عوامل اجتماعية غير لغوية الأساس، و تدخل الرهان معايير تأويل محددة ثقافيا لا فقط السمات النظامية لألسنة مخصوصة".[1]

ويبدو جليا أنه دون هذه القدرة على الاستدلال يبدو أي تواصل مستحيلا.

كما أن الاستدلال أيضا يقوم على إنشاء علاقات بين الملفوظات كما يشير الى ذلك براون ويول من أن: "الاستدلالات هي الترابطات التي يقوم بها الناس حين يحاولون الوصول الى تأويل يقرؤونه أو يسمعونه" وبالتالي "فبقدر ما يبذل القارئ جهدا في العمل التأويلي بقدر يكون محتملا أن يكون هناك استدلالات ينبغي القيام بها."[2]

يستفاد من طرحهما هذا أنه من يستحيل التنبؤ بالاستدلالات الفعلية التي سيقوم بها قارئ ما للوصول إلى تأويل نص ما. ولكن تتم معالجة مشكل الاستدلال بطريقة أقرب إلى ما يفعله القراء عادة أثناء مواجهتهم للنصوص، يقترح الباحثان معالجة بعض النصوص انطلاقا من أسئلة الفهم (من، ماذا، أين، متى) [3]، "فإذا اتضح أن الإجابة عن بعض هذه الأسئلة تتطلب من القارئ "عملا" تأويليا إضافيا مثل ملئ الفراغات أو التقطعات في تأويله فإننا سنجد أساسا من أجل التنبؤ بنوع الاستدلالات المطلوبة".[4]

لنلاحظ المثال التالي:

[1]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 154.
[2] - براون ويول، تحليل الخطاب، ص 266.
[3]- ينظر: محمد خطابي ، لسانيات النص، ص 73.
[4]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 266.

"و كانت عدالة آلموت تنشط لأقل سبب فإنه يحكى أن جريمة ارتكبت يوما في حرم القلعة، واتهم أحد الشهود ابن حسن الثاني ومن غير أن يسعى هذه إلى التحقق من الأمور حزّ رأس آخر أولاده الذكور. وما هي إلا أيّام حتّى اعترف المذنب الحقيقي فقطع عنقه هو الآخر"[1]

فإذا حاولنا توظيف الأسئلة السابقة لمحاولة فهم هذا الخطاب فإننا لن نتوصل إلا إلى تمثيل جزئي لما نفهمه عن الأشخاص ،والأحداث الموصوفة فيه. ينبه براون ويول إلى أن أول ما ينبغي الانتباه إليه هو أن الترابط ليس قائما على مجرد علاقة بين الضمير وبين الاسم وإنما على العكس من ذلك، هناك عدد متنوع من الأوصاف المحددة التي تقوم بينها علاقات لم يشر إليها بصراحة في النص.[2]

مثال ذلك أن النص السابق لم يخبرنا أن عدالة ألموت يمثلها حسن الثاني، وأن ابن حسن الثاني هو نفسه آخر أولاده الذكور.

فعلى القارئ أن يستنتج هذه العلاقات الإحالية؛ بمعنى أن يقوم بعمل تأويلي معين لكي يعادل بين ابن حسن الثاني و آخر أولاده الذكور، وما لم يفعل ذلك فإنه ستقع في تأويله تقطعات مما يتطلب منه القيام بمعالجة استدلالية.

أما المكان فهو مدينة ألموت، أما الزمان لم يشير إليه، أما السؤال لماذا؟ فإن الإجابة عنه غير متوفرة في النص.لماذا تقوم عدالة ألموت بهذه المظالم؟

ويمكن أن يقوم القارئ بمحاولة لتفسير ذلك باستدلال أن جميع القائمين على العدالة في ألموت أشخاص قساة و صعاب المراس، وقد يكونون متسرعين في أحكامهم يقتربون من أن يكونوا مجرمين.

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 172.
[2]- محمد خطابي ،لسانيات النص، ص 74.

وبناءا على هذا فإن "جزءا كبيرا من فهمنا لما نقرأه ونسمعه (ونراه بدون شك) يعد في نهاية المطاف نتيجة صنعنا لمعنى حوافز وأهداف ومخططات ودوافع المشاركين في الأحداث الموصوفة والمشاهدة."[1]

بهذا المعنى الأخير يظل الاستدلال نشاطا مفتوحا غير قابل للحصر بشكل صارم ،ما دامت كل المقاربات السابقة تحتوي على ثغرات تحملها أمثلة مستقاة من اللغة أثناء الاستعمال وليس الأمثلة المصنوعة، للخروج من هذا المأزق (صعوبة تحديد طبيعة الاستدلال) يتبنى براون ويول وجهة نظر وفية لمنطلقاتهما النظرية.... ونعني بها سلطة المتلقي (مستمعا كان أو قارئا) بحيث هو الذي يحدد متى ينبغي اللجوء إلى الاستدلال، وهو يقوم بذلك عندما يحس بأن فهمه قد تعطل وتأويله للنص ناتج عن فراغات أو تقطعات ينبغي أن تملأ لكي يصل إلى تأويل معين.[2]

4- الاستنتاج :

إن القارئ المستمع أثناء تلقي الخطاب يسعى إلى الوصول إلى المعنى المقصود من طرف المخاطب لذلك يقوم بعدة عمليات ذهنية لتحقيق الفهم الصحيح فهو في الغالب يقوم بعملية استنتاج ضمن ما تم التلفظ به للوصول إلى تأويل وفهم المقاصد.

ونحن نفترض بداية أن عملية الاستنتاج هذه تتم بالاعتماد على السياق النصي وقد تخرج عن ذلك للاعتماد على المعرفة بالعالم.

لنأخذ المثال التالي:

ـ كان جمال الدين قد أبحر في تلك الأثناء إلى انجلترا. [3]

فالقارئ يستنتج أن جمال الدين لم يسافر مبحرا مستعملا عضلاته للسباحة وإنما استعمل السفينة، وذلك لبعد المسافة بين سمرقند و انجلترا، وهذا بالاعتماد على المعرفة بالعالم.

---

[1]- براون زيول، تحليل الخطاب، ص 268.
[2]- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 74-75.
[3]- أمين معلوف سمرقند، ص 215.

وهنا يتبين أن الاستنتاج يفرضه السياق حيث أن عملية الفهم لا يمكن أن تكتمل دون استنتاجات تتم داخل سياق النص\الخطاب.

كما في المثال التالي أيضا:

"إني لا أسعى إلى انتزاع إقرار منك، ولا أسعى إنزال عقاب بك، فاتهامك بتعاطي الكيمياء دخل إحدى أذني ليخرج من الأخرى..." [1]

فالقارئ المستمع أثناء تلقي الخطاب يستنتج أن الحديث يدور حول جريمة حيث ذكر: الإقرار، إنزال العقاب، اتهام، التعاطي، لكن لا شيء تم ذكره سوى الكيمياء فهنا يصل إلى تأويل أن الكيمياء جريمة يعاقب عليها القانون في ذلك الزمان و المكان.

[1]- أمين معلوف سمرقند، ص 23.

المبحث الثالث: عناصر السياق وحدود التأويل

1- السياق و إيقاف عملية التأويل:

يبدو إلى الآن أننا نقترب أكثر من إثبات صحة فرضياتنا حول فاعلية السياق في تأويل الخطاب كما أشار إلى ذلك الكثير من الباحثين حيث يعرف هايمز دور السياق في الفهم بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود: "إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما تستعمل صيغة في سياقها فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة والسياق بدوره يستبعد كل المعاني لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق." [1]

لنتأمل الخطاب التالي:

ـ أطرق الموضوع (تكلم ماذا قال طغرل بك؟) [2]

إن استعمال صيغة (أطرق) كانت تحتمل عدة معاني، لكن السياق قام بإيقاف عملية التأويل ليحدد المعنى الحقيقي لها وهو طرق الموضوع بمعنى الخوض في ذلك الموضوع والتحدث فيه.

أشرنا فيما سبق إلى عناصر السياق وقلنا أنه كلما زادت معرفة محلل الخطاب بخصائص السياق زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله وحضي بقدر كبير من إمكانية الحصول على التأويل الصحيح للخطابات.

"فمعرفة المحلل للباث في حدث كلامي معين يمكنه من تصور ما يمكن أن يقول مثل ذلك الشخص، و تتحدد توقعات المحلل بصفة أكبر بمعرفته للمتلقي." [3]

---

[1]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 46.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 198.
[3]- براون ويول، تحليل الخطاب، ص 48.

فلا يقتصر الأمر على دور كل من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الأخر، أو بمعزل عن محيطهما، فهناك العلاقة بينهما والمعرفة المشتركة وغير ذلك من العناصر المؤثرة.[1]

عرفنا إلى حد الآن في حديثنا عن الإحالة أن أي جملة غير الجملة الأولى من مقطع خطابي تتأثر في فهمنا لها بالضرورة بالنص السابق لها ، وليس فقط تلك العبارات التي تنص علنا على الإحالة على النص السابق.2 فالكلمات المستعملة في الخطاب محددة بما يسمى "السياق النصي" سنلاحظ كيف أن تضمين بعض الكلمات داخل سياق معين يحدد فهمنا لها ، كما أن فهمنا لمفردات منفردة يتحدد بالسياق النصي كذلك فهمنا للأقوال ضمن خطاب معين. لنتأمل الخطاب التالي:

"فما إن انقضت أيام الحداد حتى سمَّت ثاني أبنائها وريثا للعرش" 3

ما تم قوله في المثال السابق يبدو واضحا للوهلة الأولى لكن لا نلبث أن تتزايد التأويلات الممكنة.

فيفهم المتلقي أن المتحدث عنها ملكة وأن لها ابنا قد توفي وأقيم الحداد وكان لها ابنا آخر سمته وريثا للعرش. لكننا بحاجة إلى السياق النصي لنعرف ظروف وفاته و في أي سنة توفي، وما آلت إليه الأمور بعد ذلك.

فمن خلال السياق النصي في المثال التالي يبين كيف يكتمل الفهم حين نعلم أنه قد مات بحمى مباغتة صاعقة لا ترحم وهو لم يتجاوز عاماً ونصف العام. ونرى أن الخطاب اللاحق يبنى على ما سبق ويفهم من خلاله:

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص48.
[2]- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص 57.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 146.

"الوريث الجديد لم يلبث هو الآخر أن مات، ميتة مباغتة شبيهة بميتة أخيه."[1] على القارئ أن يفهم أن المقصود بالوريث الجديد هو نفسه الذي سمته أنه وريثا للعرش سابقا، وأن الميتة الشبيهة بميتة أخيه هي الموت بالحمى.

لنتأمل الخطاب التالي:

"ومع ذلك اقترب منه شخص رجل طيب يرتدي مرقعة ويغمغم بكلمات ورعة، وتحسس نظام الملك كيس نقوده وأخرج منه ثلاث قطع ذهبية، فلابد من مكافأة سخية للمجهول الذي جرؤ على الاقتراب منه" [2]

يفهم المتلقي أن المتحدث عنه هو"نظام الملك"، وأن الشخص الذي أراد تقديم النقود له، هو نفسه ذلك الذي اقترب منه وهو من تم وصفه بالمجهول، وهذه تتمة لما سبق:

"فما كاد نظام الملك يرى اليد وهي تتحرك حتى كان الخنجر قد خرق ثوبه وجلده و اندست ظبته بين ضلوعه...."[3]

لا توجد إشارة هنا عن هوية القاتل، لكن القارئ يفترض أن القاتل هو نفسه ذلك الرجل الطيب الذي أراد نظام الملك إعطاءه مكافأة سخية، لأن السياق النصي يفرض علينا عدم إقحام شخص آخر لم يتم الإشارة إليه ويرضى بما تم افتراضه سابقا.

ولا شك أن المتلقي سيبحث أثناء قراءته عن هوية القاتل ليثبت صحة تأويله.

هكذا فالإحالة تعتمد إلى حد كبير جدا من السياق النصي لكي تفهم. وهو ما يحدد و يحد من فهمنا.

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 146.
[2]- المرجع نفسه، ص 148.
[3]- المرجع نفسه، ص 148.

"كانت الشمعدانات القابعة بعيدا في ديوان القاضي الفسيح تضفي على الخيام لون العاج. وما إن دخل حتى كتفه حارسان كهلان وكأنه مجنون خطر. وها هو ذا ينتظر على هذه الهيئة بالقرب من الباب"[1]

فهمنا للخطاب السابق يتم في إطار سياقه النصي حتى لو لم تتوافر لدينا معلومات عن مكان القول الأصلي وزمانه، حيث نفهم أن المكان هو ديوان القاضي الذي كان الخيّام قد أتى إليه، وأنه نفس الشخص الذي تم تكتيفه، وهو أيضا الشخص نفسه الذي بقي مكتوفا بالقرب من الباب.

لكن القارئ\المستمع سينتظر اللاحق من السياق النصي ليعرف أي تهمة جاءت بالخيّام إلى القاضي وأي نوع من العقوبات سينال.

فمن الممكن في الغالب إعادة بناء جزء من السياق المادي على الأقل لكي نصل إلى فهم النص بطريقة أو بأخرى. وكلما توافر السياق النصي ضمنيا بصفة عامة فهم النص.

نتفق إلى الآن على أن الخصائص السياقية مهمة لحصر إمكانات الفهم داخل السياق، فهناك بعض الكلمات التي تكون بحاجة إلى السياق لفهمها منها التعبيرات الإشارية، مثل : أداة الإشارة الزمنية الآن، و أداة الإشارة المكانية هنا وضمير المتكلم أنا.

مثال ذلك: [2]

أهو هناك الآن؟

أجل، وقد قيل أنه مصاب بالسويداء.

في المقطع السابق تبدو أهمية السياق بارزة لفهم "هو" و "الآن" و"هناك". لكن حين يتوفر السياق النصي والعودة إلى مقاطع خطابية سابقة يبدو الأمر جليا مثل الخطاب التالي:

[1]- أمين معلوف، سمرقند،، ص 21.
[2]- المرجع نفسه، ص 215.

"وأما في المجالس الخاصة فقد وعد بالبحث عن الوسائل المشروعة الكفيلة بالحد من نشاط جمال الدين الذي رجي أن يقصر أجل إقامته و ذلك ما حمله على الذهاب إلى القسطنطينية مفعما بالغم.[1]"

فالمتلقي الآن يعلم أن "هو" تعود على جمال الدين، و هناك على القسطنطينية، وهذا ما ينطبق على الخطابات اليومية حيث لا يتمكن الشخص من تأويل عبارات قيلت منفردة إلا بمعرفة السياق الذي قيلت فيه، كأن يتلفظ أحدهم بقوله: "كانت العملية ناجحة" يجد المتلقي نفسه حائرا بين جملة من التأويلات : عملية جراحية، عسكرية، حسابية...الخ، ما لم يكن ملما بظروف إنتاج ذلك الخطاب، وهكذا تظهر أهمية السياق في تأويل الخطاب وضرورة أخذه بالحسبان أثناء تحليل الخطابات سواء الشفوية أو المكتوبة.

2 - العلاقة بين طرفي الخطاب:

لا يخلو المجتمع من علاقات بين الناس، فقد تكون علاقات اجتماعية أو وظيفية أو غيرها وتتصف العلاقة بأسبقيتها على إنتاج الخطاب ذاته، ولذلك فهي من عناصر السياق المؤثرة.

حيث أن تلك العلاقة تساهم في تأويل الخطاب، فحين نعلم أن المرسل له سلطة على المرسل إليه يكون لنا الحظ الأوفر في التوصل إلى التأويل الصحيح لما تم التلفظ به، وهكذا.

"فاختيار هذه الصورة وليس تلك، يتعلق بالسياق في عموميته، أي يتعلق بالمتخاطبين (المتحاورين) وبعلاقتهما داخل السياق، بل ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه هذا المتخاطب عن الآخر، وما يعرفه المتخاطبان عن المقام، وعما يريدان قوله أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب فأحد المتخاطبين يمكن أن يكون خطيبا أو معلما والآخر يمكن أن يكون جمهورا أو مستمعا ؛

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 215.

فالعلاقات تظل في ذاتها والصور يجب أن تكون مضبوطة حتى تناسب المقام بالشكل الأقرب".[1]

وإن لم تكن العلاقة بين طرفي الخطاب موجودا سلفا، فإن المرسل يسعى إلى إيجادها بخطابه، فقد يكون إقامة علاقة بين طرفي الخطاب، هو الهدف الرئيس من الخطاب.

وقد صنف ظافر الشهري العلاقة المسبقة بين طرفي الخطاب على محورين هما: [2]

أ ـ محور العلاقة الأفقية:

تتبلور العلاقة الأفقية في أكثر من خاصية ومن بين ذلك: خصائص الدين (مسلم، مسيحي)، خصائص الجنس (الذكورة، الأنوثة)، خصائص السن: (صغار،كبار، شيوخ)، خصائص المهنة (أساتذة، طلاب، ضباط ، أفراد، عمال)، خصائص عرقية (عرب)، خاصية الجنسية (سعودي، سوري، خليجي)، خصائص الحالة الاجتماعية ومنها حالة المعيشة (عزاب، متزوجون، أيتام، فقراء، أغنياء)

وتندرج العلاقات العاطفية تحت هذا الصنف، فتكون مثلا علاقة ود أو علاقة صد ،علاقة قرب أو بعد، وبهذا يكون الخطاب علامة على هذه العلاقات ومؤشرا لها.

وهذه العلاقة تسهم في توجيه المرسل إليه إلى تأويل الخطاب التأويل المناسب للسياق.

في الخطاب التالي يبدو المرسل مغرورا نوعا ما:

ها آنذا تحيط بي الحكمة من كل صوب ألا يقول أن الأمير الذي يعاشر العلماء هو خير الأمراء. [3]

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 89.
[2]- ينظر: عبد المرجع نفسه، ص 89.
[3]- أمين معلوف، سمرقند، ص 97 .

لكن سرعان ما يتغير الحكم من طرف المرسل إليه إذا علم أن المتحدث "أمير" معتد بنفسه له ما يشفع له غروره ذلك، فينظر إليه على أنها مزية الأمراء وليس عيبا لو تلفظ به شخص عادي.

محور العلاقة العمودية:

"و من جهة أخرى، فهناك العلاقة العمودية وهي تلك التي تتبلور في مراتب تصاعدية للناس داخل بنى المجتمع، ما يجعلهم ينتمون إلى سلم تراتبي، إذ يقع كل طرف من طرفي الخطاب في إحدى درجاته، سواءا أكان سلما اجتماعيا أو سلما وظيفيا." [1]

نستنتج مما سبق أن المرسل هو الذي يكون بحاجة إلى معرفة هذه العلاقات التراتبية حتى يتلفظ بما يلاءم السياق ويلاءم علاقته تلك بالمرسل إليه.

في الخطابات المكتوبة مثلا: "يحتاج الكاتب إلى معرفة مراتب المكاتبين عند من يكتب عنه، وما يليق بهم من الأوعية والعنوانات، على حسب ما تقتضيه مرتبة مخدومه بين مراتبهم، فينزل كل واحد منهم مرتبته اللائقة به، ومراتب المكاتبين ثلاثة: مرتبة من فوقك، و مرتبة من هو مثلك، ومرتبة من هو دونك، (.....) ولكل طبقة من هذه الطبقات مرتبة في المخاطبة." [2]

وقد وردت بعض الخطابات والدراسات التي تكشف عن أهمية العلاقة بين طرفي الخطاب وكيفية تجسيدها فيه، كما حثت على اعتبارها عنصرا متأصلا من عناصر السياق. [3]

فما نريد التأكيد عليه هو دور المعرفة المشتركة تداوليا في سياق الخطاب اللغوي ومعرفة المرجع الذي تلتقي عنده أذهان الأطراف المتخاطبة في مرحلة إنتاج الخطاب وفي مرحلة تأويله.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 89.
[2]- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق : مصطفى السقا و حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981، القسم الأول، ص 140.
[3]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 89.

حيث تعد العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تأويل الخطاب، مثل الخطاب التالي:

ـ ينبغي إرسال موفد إلى كل إقليم، و إجراء حسابات طويلة. [1]

بالنظر إلى الخطاب السابق تجتمع لدينا مجموعة تأويلات أن الخطاب السابق هو عبارة عن إسداء نصيحة، أو مجرد اقتراح، فهنا تنقصنا المعرفة بالعلاقة بين المتخاطبين، إلا إذا تم الكشف لاحقا أن المتحدث هو "ملك" فإننا نفهم من ذلك أن الخطاب عبارة عن أمر ينبغي تنفيذه، كما يمكننا أن نتنبأ بما يمكن أن يحدث وهو الموافقة من طرف المرسل إليه إذ يتدخل عنصر السلطة.

ويبدو الأمر أكثر وضوحا في الخطاب التالي:

ـ ألا تعرض أن تطعمني؟[2]

يبدو للوهلة الأولى أن المرسل على علاقة طيبة مع المرسل إليه، ما دعاه إلى التلفظ بالخطاب السابق إذ أنه كان يعلم أنه سيلقى ترحيبا من طرف المرسل إليه، فيستمر القارئ في تتبع الخطاب ليعلم حقا أنهما صديقين.

ـ "لا تنخدع فأنت لست الشخص الخسيس الذي تلمح إليه." [3]

باعتبار أنه كلما كانت العلاقة رسمية، كلما كان خطابه أكثر مباشرة على القصد، في حين كلما كانت العلاقة حميمة، كلما ابتعد المرسل بخطابه عن الدلالة المباشرة. [4]

وهكذا يتبين أن المرسل ليس على علاقة قوية مع المرسل إليه مما جعله يتلفظ بالخطاب السابق، فشخص لا نعرفه جيدا هو شخص يتم التعامل معه ضمن علاقة رسمية نوعا ما.

---

[1]- أمين معلوف، سمرقند، ص 101.
[2]- المرجع نفسه، ص 121.
[3]- المرجع نفسه، ص 47.
[4]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص49.

2- المعارف المشتركة والمعرفة بالعالم:

تعتبر المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة أيضا، وهي الرصيد المشترك بين طرفي الخطاب، فالمعرفة المشتركة في الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في انجاز التواصل، إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه ، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم، الإقناع أو الاقتناع، ويمكن أن تنقسم هذه المعرفة إلى: [1]

ـ معرفة عامة بالعالم، ومنها معرفة كيف يتصل الناس ببعضهم البعض، وكيف يفكرون، وكيف يستطيعون أن ينجزوا أفعالهم اللغوية داخل المجتمع مع إقامة الاعتبار لأطر العامة الدينية، الثقافية، الاقتصادية، الاجتماعية.

ـ المعرفة بنظام اللغة في جميع مستوياتها بما في ذلك دلالاتها وعلاقتها بثقافتهما.

مثل الخطاب التالي:

ـ عندما يدعي المرء "عمر" فمن التهور أن يرتادنا ناحية قاشان.[2]

فالمرسل أنتج خطابه وهو يعلم أن المرسل إليه سيؤول خطابه تأويلا صحيحا ،وسيفهم قصده دون عناء باعتبار وجود معرفة مشتركة بينهما حيث استعمل العلامات اللغوية المناسبة للسياق، دون شرح بل بأسلوب تلميحي غير مباشر.

و تتمثل هذه المعرفة بالعالم في أن قاشان مدينة يكثر وجود الشيعة بها، واسم عمر هو اسم الخليفة الثاني، الخليفة عمر المكروه من الشيعة لأنه كان منافسا عنيدا لعلي مؤسس طائفتهم.

وهكذا تساهم المعرفة بالعالم في تأويل الخطاب لدى المرسل إليه، وتساعد محلل الخطاب على مواصلة تتبع سير الخطاب وفق ما تقتضيه العلاقة بين المتخاطبين.

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب ،ص 49.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 82.

بالإضافة إلى معرفة العالم، يتوجب على طرفي الخطاب أن يكون لهما مقدار متقارب من المعرفة اللغوية ذاتها، فمعرفة اللغة عنصر مهم في السياق، إذ لا تكفي الإرادة عند المرسل لوحدها لتحقيق عملية التواصل، لأنها لا تتحقق بغياب المعرفة باللغة.[1]

وهذا ما أشار إليه الغزالي بقوله "أما المقدمة الثانية أعني القدر الذي يفهم به خطاب العرب و عاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره، ومجمله، وحقيقته، ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومفيده، ونصه وفحواه، ولحنه ومفهومه." [2]

المعرفة الثقافية بين المتخاطبين عنصرا مهما في نجاح العملية والتواصلية وتأويل الخطاب وفهم المقاصد.

فعندما يتلفظ المخاطِب بهذا الخطاب:

ـ وتهيم منذ سبع سنوات هكذا بثياب صوفي؟ [3]

يفترض أن المُخَاطَب يمتلك معرفة حول الصوفية والصوفيين، ليتمكن من معرفة وجه المقارنة بين ثيابه وثياب الصوفيين.

وهناك أيضا المعرفة التداولية التي تساهم في التفاعل الاجتماعي، وهي معرفة تجعل المتخاطبين على قدر من التفاهم يسمح للمخاطب بتأويل الخطاب تأويلا صحيحا.

مثل الخطاب التالي:

ـ لقد أحسنت القول، فليمتلئ فمك ذهبا. [4]

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص49.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 97 .
[3]- المرجع نفسه، ص121 .
[4]- أمين معلوف، سمرقند ، ص 40 .

في غياب المعرفة التداولية بين المتخاطبين خاصة لدى المتلقي الذي بدوره يكون في حالة ريب فربما يفهم عبارة ملئ الفم بالذهب أنها عبارة عن تلميح و القصد منها شيء آخر، وربما استعملها المرسل استعمالا حرفيا، لكن عندما يتوفر لدى المتلقي معلومة بأن هذه العبارة تستعمل تداوليا بعد أن يتم الشاعر قراءة قصيدته يتم فعلا ملئ فمه ذهبا وعلى قدر ما اتسع يأخذ من الذهب، يتوصل من خلال السياق التداولي إلى التأويل الصحيح لما تم التلفظ به.

انعدام المعرفة المشتركة يؤدي إلى عدم قدرة المتلقي على تأويل الخطاب تأويلا صحيحا وحصول سوء فهم وعرقلة عملية الفهم والإفهام.

"ومع أهمية المعرفة باللغة واستعمالاتها التداولية، إلا أن هناك عناصر أخرى للمعرفة المشتركة ومنها ما يحدثه التلفظ بالخطابات من أثر، فتصبح هذه الخطابات عناصر سياقية للخطابات اللاحقة، مما يعين على الإحالة عليها، وهو ما يتجلى باستعمال الضمائر." [1]

لنأخذ المثال التالي:

ـ لسوف تقف مشاريع المرأتين عند هذا الحد في الوقت الحاضر، وسوف يرفض عمر الخضوع لما تطلبان. [2]

فالضمير (ألف المثنى) في تطلبان يحيل على المرأتين اللتين ذكرهما المرسل في الخطاب السابق، فهو يدرك أنه أصبح من المعلومات المستقرة في ذهن المرسل إليه وبالتالي أصبح جزءا من المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب.

[1]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 51.
[2]- أمين معلوف، سمرقند، ص 51.

إن المعرفة التي نملكها كمستعملي لغة ما عن التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة. هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل خبراتنا الحياتية، كما يلاحظ دي بوجراند (1980،ص 30) :" إن مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره." [1] وخير مثال على ذلك ذكر مملكة السلاجقة في رواية سمرقند سيتمكن المتلقي من معرفة أنها عبارة عن مملكة لها موقع و ملك ورعية ، ولكنه لن يفهم حقيقة هذه المملكة إلا بالعودة إلى معرفته بالعالم الحقيقي.

ففهم الخطاب و تأويله يعتمد بشكل كبير على خبراتنا السابقة، فمهما كان النص الذي نواجهه و نرغب في فهمه لن تكفينا الكلمات المخطوطة على الورق ما لم نوظف معارفنا السابقة.

لنتأمل الخطاب التالي:

"في سمرقند كان يجري تتبع القتال عن كثب ، وكانت تصل كل ثلاثة أيام حمامة زاجلة يطلقها المدافعون، ما كان البلاغ ليكون قط دعوة للمساعدة ،ولا كان يصف نضوب المؤن وخور الرجال..." [2]

فمتلقي هذا الخطاب لن يجد علاقة بين الحمامة الزاجلة و البلاغ، إذا لم يملك معرفة مسبقة أن الحمام الزاجل كان يستعمل كوسيلة اتصال لنقل البلاغات.

ونحن هنا نعتمد على بعض الأمثلة من رواية سمرقند لأن هذه الرواية تنتمي إلى الروايات ذات الطابع التاريخي حيث تقدم حقائق تاريخية مؤكدة لذلك فإن أغلب ما يرد فيها ليس مجرد تخييلات تكتفي بالسياق النصي لفهمها و تأويلها ، بل نحن بحاجة ماسة إلى ما هو خارج نصي ليتحقق التأويل الصحيح ، كما يجدر بنا أن نكتسب على الأقل معرفة بسياق تلك الأحداث التاريخية المتحدث عنها.

1- ينظر: براون ويول ، تحليل الخطاب، ص 279.
[2] - أمين معلوف، سمرقند، ص 64.

والمقطع الخطابي التالي يوضح ذلك:

"كانت الموجة الأولى بقيادة جنكيز خان أشد كارثة تخريبية حلت بالشرق ولا ريب..."[1]

فالمستمع/القارئ حين يواجه خطابا ما ؛لا يواجهه وهو خاوي الوفاض و إنما يستعين بتجاربه السابقة ؛ بمعنى أنه لا يواجهه و هو خالي الذهن. [2] فالمرسل في المثال السابق يتحدث عن حوادث من صلب التاريخ، يجدر بالقارئ العودة إلى ثقافته العامة ليعرف على الأقل من هو جنكيز خان؟ و أية كارثة تخريبية حلت بالشرق؟ حيث يستحضر تلك الوقائع التاريخية لتتم عملية الفهم و التأويل، وهكذا فإن المتلقي يستثمر جميع معارفه السابقة في عملية فهم الخطاب.

[1]- أمين معلوف، سمرقند ، ص 43.
[2]- محمد خطابي، لسانيات النص، ص 61.

الخاتمـــــــــة

خـــــــــاتمــة :

لقد تبين لنا من خلال دراستنا هذه أن متلقي الخطاب حين يبذل أي مجهود لمعرفة مقاصد المتكلم فإنه يخطو خطوة في سبيل الوصول إلى تأويل موضوعي يحد من تعدد التأويلات الممكنة ، كما تبين لنا دور السياق في الكشف عن المقاصد خاصة فيما يتعلق بالخطابات المضمرة ، ذلك أن دلالة الخطاب اللغوي تتعدد حسب تعدد سياقات التلفظ، فقد لا يكون ذو دلالة مستقرة دوما ، حيث تصبح المقاصد مبهمة و تتعدد التأويلات الممكنة ، لكن كل الالتباسات ستزول بمعرفة السياق.

وهذه أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

- يعتبر السياق أهم وسيلة لتحقيق الانسجام النصي، و الوصول إلى التأويل الصحيح للخطاب حيث يهتم بالعلاقات التي تربط معاني الجمل في النص ، وفهم تلك العلاقات يعتمد على السياق و عناصره ؛ حيث أنها تحتاج إلى جهد القارئ التأويلي و توظيف معارفه المسبقة للكشف عنها، وهكذا يقوم ببناء انسجام النص و تحقيق التواصل. فتفاعل القارئ و النص يكشف عن القيم الأدبية و الجمالية للنص فيحقق المعنى الكلي بتحقق التواصل بين المنتج و المتلقي .
- يرتبط انسجام النص بالقدرة على الفهم و التأويل، بالاعتماد على السياق و عناصره حيث لا يتحقق الانسجام بالعناصر اللغوية بل بالعناصر الغير لغوية، فهو يركز على المستوى الدلالي و التداولي باعتبار أن النص يتألف من عدد من العناصر التي تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام و التماسك بين تلك العناصر و تسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية و الروابط الإحالية في تحقيقها .

- فهم الخطاب وتأويله دائما يكون مرهونا بمفهم مقاصد المرسل، التي تتضح بدورها ضمن السياق ، كما أن إدراك معنى العبارة أو معنى الخطاب ككل، يتوجب بوجه عام الوصول إلى فحوى العبارة ذاتها من جهة، وإلى قصد المرسل من جهة أخرى .أما عملية التأويل ، فتتم بشكل ناجح عندما تحصل المماثلة بين فهم المتلقي ،دلالة العبارة وقصد المتكلم.
- للسياق دور في تحديد معنى الوحدات اللغوية، ومعنى الكلمة في حد ذاتها ، ذلك أن للكلمة دلالات متعددة تتنوع بتنوع استعمالها.والمهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ فنحن حين نقول بأن لإحدى الكلمـات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو فـي الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا.
- باعتبار العملية التواصلية القصدية تفترض طرفين إنسانيين: مرسل ، ومتلقي، و المقاصد أنواع، أولي يتجلى في المعتقدات و الرغبات التي تكون لدى المتكلم ، وثانوي يكون فيما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم، وثلاثي ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما ترتبط المعاني بالمقاصد حيث أنها تتفاوت من حيث علاقة القصد بدلالة الخطاب الحرفية ، فالبرغم من قدرة المرسل على التعبير عن مقاصده في أي مستوى من مستويات اللغة لكنه لن يتمكن من معرفة قصد المرسل بمعزل عن السياق.
- العناصر المحيلة و الإشاريات باعتبارها جزءا من الخطاب لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها و فهمها و تفسيرها؛ خاصة ما تعلق بالإحالة إلى خارج النص أو ما يعرف بالإحالة المقامية تتطلب من المستمع أن يلتفت خارج النص حتى يتعرف على المحال إليه؛ ويتوقف هذا النوع من الإحالة على معرفة سياق الحال أو الأحداث أو المواقف التي تحيط بالنص، حتى يمكن معرفة المحال إليه من بين الأشياء و الملابسات المحيطة بهذا النص.

- معرفة المتلقي بأنظمة اللغة المعروفة وحدها لا تغنيه عن معرفة قصد المرسل ، بمعزل عن السياق لأن مدار الأمر ينصب حول ماذا يعني المرسل بخطابه و ليس ما تعنيه اللغة. فالملفوظ وسيلة اصطلاحية لإيصال مقصد متضمن في القول يتجاوز المحتوى الخام للملفوظ، لكنه يشكل قاعدة ضرورية لا غنى عنها على أساس المواضعات ،و المعطيات السياقية ،و الخلفية المعرفية المشتركة.
- الأدوات الإشارية لا يمكن أن تحيل على شيء لو كانت منعزلة عن سياقاتها، وتعطي الإحالة إلى خطاب سابق أية أداة يستعملها المتكلم للإحالة، ويتمكن السامع بموجبها من انتقاء المرجع المقصود شريطة توافر شروط سياقية خارج النص وداخله.
- للسياق دور في حصر التأويلات الممكنة للخطاب، حيث أنه ربما يحمل دلالتين مختلفتين أو تأويلين مختلفين ولكن المتلقي يستثمر عناصر السياق لفهم ما يقال مثل طبيعة العلاقة بين المتخاطبين، و المعرفة بالعالم حيث يشكل السياق العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ.
- يمتلك كل من المتخاطبين رصيد من الافتراضات المسبقة تتضمن معلومات مستمدة من المعرفة العامة والمشتركة وسياق الحال، تساهم في التأويل الصحيح للملفوظات. فالتوقعات من جهة تجعل عملية الفهم ممكنة وهي من جهة أخرى تشكل امتدادا أو، مزيدا من التأكيد على ذلك الفهم.
- لا يمكن الاستغناء عن السياق في تحديد المعنى ؛ حيث يساهم السياق الخارج نصي إلى جانب السياق النصي في عملية التأويل؛ حيث أن المتلقي يقوم بعمليات مثل الاستدلال و الاستنتاج مستندا إلى قدرته اللغوية و معرفته بالعالم ،فيتشكل السياق بواسطة المعلومات المتعلقة بالمحيط المدرك من نتيجة تأويل الأقوال السابقة، حيث أن الصيغة المنطقية للقول تضاف الى كل هذا. مكونة مقدمة منطقية إضافية، وتطبق حينئذ العمليات الاستدلالية الضرورية لتمكن من التوصل إلى نتيجة ما أو عدة نتائج تتمم تأويل القول.

قائمة المراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- إبراهيم محمد إسماعيل، معجم الألفاظ و الأعلام القرآنية ، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ت.

2- أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق : مصطفى السقا و حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1981.

3- . أحمد أبو سعد، معجم التراكيب و العبارات الاصطلاحية العربية القديم منها و المولد، دار العلم للملايين، ط1، 1987.

4- أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2001.

5- أحمد العاقد ، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2002.

6- أحمد العاقد ، تحليل الخطاب الصحافي من اللغة إلى السلطة ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2002.

7- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2002.

8- إدريس حمادي :الخطاب الشرعي وطرق استثماره، الثقافي العربي- بيروت،ط1، 1974.

9- الآمدي : الأحكام في أصول الأحكام ، تح : أحمد محمد شاكر ، ط1 ، 1980 ،دار الأفاق الجديدة ، بيروت.

10- أمين معلوف، سمرقند، تر: عفيف دمشقية، دار الفرابي ، بيروت – لبنان، 1997.

11- بسام قطوس، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، طَ1، 2006.

12- تمام حسان، مقالات في اللغة و الأدب، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 2006 .

13- الجاحظ :البيان والتبيين، تقديم :علي أبو ملحم، ، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط2، ط1، 1992.

14- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: عبد المنعم خفاجي ، مكتبة القاهرة، 1980.
15- محمد حمود ، تدريس الأدب: استراتيجية القراءة والإقراء ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1993.
16- خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ،الجزائر، ط2 ، 2006.
17- رابح بوحوش : الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، مديرية النشر ، جامعة باجي مختار ، عنابة الجزائر ، 2004.
18- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطَّلحي ، دلالة السياق ، منشورات أم القرى ، مكة المكرمة ، 1423ه ، ط1.
19- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) ،دار الطليعة للنشر و الطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
20- سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص : المفاهيم و الاتجاهات ، لونجمان، القاهرة ، دط ، 1997.
21- سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط 2005.
22- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي : الزمن ، السرد ، التبئير، بيروت ، المركز الثقافي العربي، 1989، ط1.
23- سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الأمدي :الأحكام في أصول الأحكام ، دار الكتب العلمية، بيروت 1983.
24- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ، دار قباء للنشر و التوزيع، القاهرة، ط1، 2000.
25- صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع ، لونجمان ، ط 1، 1961.
26- الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون) ،منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2007.

27- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1، 1998.

28- طه عبد الرحمان :في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط 2،2000.

29- عبد السلام عشير،عندما نتواصل نغير (مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج) ، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

30- عبد القادر شرشار ،تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2006.

31- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق محمد التنجي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 2005.

32- عبد النعيم خليل ، نظرية السياق بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء للطباعة و النشر،الإسكندرية ، مصر، ط1، 2007.

33- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد ،بيروت ، لبنان ، ط 1،2004 .

34- علي آيت أوشان : السياق و النص الشعري(من البنية إلى القراءة) ،ط1،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء 2000.

35- محمد مفتاح ، دينامية النص : تنظير و إنجاز ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ،1990.

36- محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط1، 2008.

37- محمد خطابي، لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، ط1، 1990.

38- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005.

39- منذر عياشي : العلاماتية وعلم النص(نصوص مترجمة)، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط1، 2004.

40- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 1992

41- محمد مفتاح ، مجهول البيان ، دار توبوقال للنشر، الطبعة الأولى ، 1990، الدار البيضاء.

42- محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا (في ضوء مفهوم الدلالة المركزي"دراسة حول المعنى وظلال المعنى")، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا 1993.

43- مهدي أسعد ، حرارة جدلية االفظ و المعنى ، دراسة في دلالة الكلمة العربية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1، 2002.

44- نور الدين السد :الأسلوبية و تحليل الخطاب ،دار هومة للطباعة و النشر ، الجزائر ،1997.

المصادر و المراجع المترجمة :

1- استيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ، تر: كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القارة ط2، 1981.

2- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترو تقديم :سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000.

3- آن روبول ،جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4- باتريك شارودو، دومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حماد صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس ، 2008.

5- بول ريكور، من النصّ إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2001.

6- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1 ،1978.

7- جيرار دولودال ، التحليل السيميوطيقي للنص الشعري، تر: عبد الرحمان بوعلي، طبعة المعارف الجديدة، طَ، 1994.

8- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ،تر:محمد يحياتن ، ط1، 2008، الدار العربية للعلوم ، لبنان.

9- روبرت ديبوغراند- فولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص ، تر: إلهام أبو غزالة- علي خليل أحمد ، مطبعة دار الكتاب ، ط1 ، 1993.

10- سارة ميلز:الخطاب ، تر: يوسف غول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري قسنطينة ،ط1-2004.

11- فان دايك ، علم النص (مدخل متاخل الاختصاصات) ، تر: سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ط1،2001.

12- فان ديك، النص و السياق :استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر:عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، 1991.

13- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986.

14- فندريس، اللغة، تر،عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط ت.

15- فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر:فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، دط ، دت.

16- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صالح الحباشة ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سورية ، ط1، 2007.

17- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي النصي، تر:سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1،2005.

18- ماري نوال غاري بريور، معجم المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، تر:عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، سيدي بلعباس، الجزائر،2007.

المعاجم:

19- أبو القاسم جار الله بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق: عبد الرحيم محمود ، دار المعارف ، بيروت ،1982.

20- جمال الدين أبو الفضل ابن منظور ، لسان العرب ، إعداد و تصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب ، بيروت، لبنان.

21- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، 2009.

22- معجم الوسيط، تأليف :مجموعة من المؤلّفين (مجمع اللّغة العربية) ، مطابع دار المعارف، مصر ط2،1972.

المراجع الأجنبية:

1- Dictionnaire Quillet de la langue française ,(Q-Z) Librairie Aristide Quillet, Paris,1983.

2- J.Grimas, J.Courtes :- Sémiotique, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage,Hachette université.

3- G.Mounin : Dictionnaire de la linguistique, 4eme édition, PUF, France, 2004.

4- O. Ducrot, T.Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed.Seuil, 1972.

5- C.K.Orecchioni :l'enonciation de la subjectivité dans la langage. Armand colin . 1980 .

6- - j . lyons .sémantique linguistique. Larousse. Paris. 1980.

7- Geoffry leech، principles of pragmatics، logman group limited ،London، 1996.

المجلات :

1- حمو الحاج ذهبية، قواعد الخطاب في التواصل الخطابي، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو ، ع2، ماي ، 2007.
2- شتر رحيمة ، التداولية و آفاق التحليل ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع2- جوان 2008.
3- عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني ، مجلة عالم الفكر الألسنية، مجلد 20، ع 3، أكتوبر/ نوفمبر/ ديسمبر 1989، الكويت.
4- عبد الله محمد الغذامي ، رحلة المعنى: من بطن الشاعر إلى بطن القارئ ، مجلة فكر ونقد ، العدد 17، السنة الثانية، مارس 1999، دار النشر المغربية.
5- عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس مجلة فصول، ربيع، عدد 66، 2005.

الفهـــــرس

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	2- 8
مدخل: الدراسات النصية	10- 14
النص و الخطاب: إشكالية المصطلح	14- 26
مفهوم النص	15-20
مفهوم الخطاب	20- 24
بين النص و الخطاب	25- 26
الفصل الأول : السياق و التأويل في نظرية الانسجام النصي	28-60
المبحث الأول: الانسجام النصي تعريفه و مبادئه :	28
مفهوم الانسجام	28- 30
آليات الانسجام	30
المبحث الثاني: انسجام النص عند فان دايك :	31
ترتيب الخطاب	31
الخطاب التام و الخطاب الناقص	32
موضوع الخطاب- البنية الكلية	33
المبحث الثالث: انسجام النص ج، براون – ج.يول:	33- 35
السياق	36
السياق في القاموس العربي و الغربي	37- 41
السياق في الدراسات الغربية	43-45
أنواع السياق	45- 50
عناصر السياق	50-55
التأويل	55- 58
مبدأ التشابه	58-59

التغريض	60 -59
الفصل الثاني: التفاعل الخطابي و سياق التخاطب	90 -62
المبحث الأول: التخاطب و العملية التواصلية	62
التخاطب	64-62
قوانين الخطاب	73-65
الوظائف اللغوية و التواصل	77-73
المبحث الثاني: المقاصد و القراءة التأويلية	77
تعريف المقاصد	81 -77
المقاصد و التأويل	85 -81
سياق التلفظ و تأويل الخطاب	90 -86
الفصل الثالث: السياق وحدود التأويل	141-92
المبحث الأول: السياق و تعدد التأويلات	92
الإحالة	98-92
الظاهر و المضمر في الخطاب	105 -98
التعبيرات الإشارية	114 -106
المبحث الثاني: عمليات و مبادئ تأويل و فهم الخطاب	115
عملية الافتراض	116-115
مبدأ الفهم المحلي و مبدأ القياس	120-117
الاستدلال	127-120
الاستنتاج	128 -127
المبحث الثالث: عناصر السياق و حدود التأويل	129
السياق و إيقاف التأويل	133-129
العلاقة بين المتخاطبين	136-133
المعارف المسبقة و المعرفة بالعالم	141-137
خاتمة	145-143

قائمة المصادر و المراجع	153-147
الفهرس	156-154

ملخص:

تمثل موضوع هذا البحث في :" دور السياق في تأويل الخطاب –دراسة في رواية سمرقند لأمين معلوف-" وقد ضم مقدمة، مدخل ، و ثلاثة فصول وخاتمة.

أما المدخل فقد تم التطرق فيه إلى أهم تطورات الدراسات النصية، إضافة إلى الفصل بين مصطلحي "النص" و "الخطاب" ؛ و التعرف على ماهية و خصائص كل منهما.

الفصل الأول بعنوان " السياق و التأويل في نظرية الانسجام النصي " تم فيه إدراج تعريف الانسجام ؛الذي يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص بالاعتماد السياق.

الفصل الثاني بعنوان "التفاعل الخطابي و سياق التخاطب"،و تم التطرق فيه إلى دراسة بعض الجوانب النظرية المهمة في بحثنا بدءا بعلم التخاطب الذي هو دراسة علاقة العلامات بمستخدميها؛ كما تم الحديث عن قوانين الخطاب التي يحَكَم على أساسها نجاح الكلام أو فشله، وكذا الوظيفة التواصلية للغة باعتبار التواصل اللفظي يتم بين شخصين على الأقل. إضافة إلى تعريف المقاصد وبيان أهميتها حيث تساهم في بيان المعنى كما هو عند المرسل.

والفصل الثالث :السياق و حدود التأويل، وهو فصل تطبيقي اعتمدنا فيه على مقاطع خطابية من رواية سمرقند لأمين معلوف لإثبات فرضياتنا حول دور السياق في تأويل الخطاب، بالكشف عن دوره في تأويل الخطابات الضمنية و الإشاريات ، حيث أن فهم ضمائر الخطاب تتطلب توفر مجموعة من المعلومات السياقية.

وقد تم من خلال هذا البحث التوصل إلى مجموعة من النتائج أهمها أن للسياق دور مهم في تأويل الخطاب و فهمه ؛ حيث أنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة ، و يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود.

الكلمات المفتاحية: السياق – التأويل – الخطاب – المقاصد – التواصل.

Résumé:
Le thème de cette recherche: "Le rôle du contexte dans l'interprétation étude dans le roman Samarkand de amine Maalof " a inclus l'introduction, Entrée a, et trois chapitres et une conclusion.
Entrée a eu des développements les plus importants pour faire face aux études textuelles, en plus de la séparation entre les termes «texte» et «discours», et d'identifier la nature et les caractéristiques de chacun.
Le premier chapitre intitulé «Contexte et interprétation dans la théorie du script de l'harmonie" a été l'inclusion d'une définition de l'harmonie, ce qui signifie que les relations entre les significations des phrases dans le contexte basé sur le texte.
Chapitre II intitulé «rhétorique et le contexte de la conversation" interaction, était-il adressé à l'étude de certains aspects théoriques de la tâche dans notre recherche, en commençant par la connaissance de la communication, qui est la relation marque leurs utilisateurs étudient; aussi été parler des lois de la parole qui régissent sur la base du succès de la parole ou de l'échec, ainsi que la fonction de communication langue que la communication verbale entre deux personnes au moins. En plus de la définition des objectifs et de la déclaration d'importance car elle contribue en effet de déclaration lorsque l'expéditeur.
Chapitre III: le contexte et les limites de l'interprétation, une séparation pratique qui reposait sur des passages rhétoriques du roman Samarkand d'Amin Maalouf pour prouver nos hypothèses sur le rôle du contexte dans l'interprétation du discours, de divulguer son rôle dans l'interprétation des discours implicites et Alachariat, que la compréhension de la conscience du discours nécessite un ensemble d'informations contextuelles .
Ce fut grâce à cette recherche pour atteindre un ensemble de résultats que le plus important dans le contexte d'un rôle important dans l'interprétation de la parole et de sa compréhension, en ce qu'elle restreint d'une part, le nombre de significations possibles, et d'aider d'autre part, l'adoption de la signification voulue.
Mots clés: discour , texte, contexte , pragmatique , l'interprétation, cohérence, cohésion.

Abstract:

the subject of this research is : "The role of the context in the interpretation of the discourse - Study in the novel of Samarcand of amin maalouf -" has included : introduction, entrance, and three chapters and a conclusion.

The entrance has been addressed to the most important developments of Text linguistics , in addition to the separation between the terms "text" and "discourse"; and identify the nature and the characteristics of each.

The first chapter, entitled "context and interpretation in unison theory" has been the inclusion of a definition of unison; which means that relations between the meanings of sentences in the text based on the context.

The second chapter entitled "The Interaction and the context of conversational interaction, it was addressed to the study of some theoretical aspects of the task in our search starting with the knowledge of communication which is the relationship marks their users study; also been talking about the speech laws that govern on the basis of the success of the speech or failure, as well as the function communicative language as verbal communication is between at least two people. In addition to the definition of objectives and the statement of significance as it contributes in a statement effect as when the sender.

Chapter III: Context and limits of interpretation, a practical separation which relied on rhetorical passages from the novel Samarcand to Amin Maalouf to prove our assumptions about the role of context in the interpretation of the discourse, to disclose his role in the interpretation of the implicit speeches and references, as the understanding of the consciences of discourse require provides a range of contextual information .

It was through this research to reach a group of the most important results that context an important role in the interpretation of the discourse and understanding; in that it limits the number of possible meanings one hand, and on the other hand helps to adopt the intended meaning.

Keywords: text , context, discourse , interpretation, cohesion, coheronce, pragmatique.

تمت بحمد الله